الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الفلسطينيين في مسرحية "الخليل" للأديب " تامير جرينبرج" نموذجاً

د.إيمان محمد رضا عليوة دربالة
مدرس بكلية دار العلوم
جامعة أسوان

تمهيد:

فرضت إسرائيل الحكم العسكري الصارم و"أنظمة الطوارئ"[١] على المواطنين الفلسطينيين مباشرة بعد احتلال الخليل عام ١٩٦٧، بغية إحكام سيطرتها وقبضتها على الفلسطينيين الذين بقوا في الخليل و"الحد من حقوق وحريات الفلسطينيين، لهدم بيوتهم ومصادرة أراضيهم وتحويلها إلى مناطق عسكرية مغلقة، ولقمع نشاطاتهم الوطنية والسياسية، والحد من حرية التعبير وإصدار الصحف والكتب والمنشورات، ولمنع اللاجئين والمهجرين من العودة إلى قراهم ومدنهم التي هُجروا منها"[٢]. ومازالت معظم هذه الأنظمة سارية حتي اليوم، وهو ما يعرض له هذا البحث الذي يتحدد في مسرحية الخليل "חברון" لـ"תמיר גרינבר" تامير جرينبرج. تتطرق المسرحية إلى سياسة العقاب الجماعي التي تمارسها قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق الفلسطينيين، والتي "تتنافي مع القوانين والأعراف الدولية، تتمثل هذه السياسة في هدم البيوت، والاعتقالات، وتقييد حرية حركة السكان والبضائع، كما تتطرق إلى ووضع الإنسان الفلسطيني تحت سيطرة الاحتلال الذي

---

[١] 0 أنظمة الطوارئ. هي مجموعة قوانين سنتها حكومة الانتداب البريطاني وسمتها "قوانين الطوارئ سنة١٩٣٦ " و قوانين الدفاع سنة ١٩٣٩. وكانت موجهة ضد الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦، لكنها حاولت تطبيقها ضد نشاطات المنظمات الإرهابية الصهيونية مثل "اتسل"، و"ليحى" وأرجون". وقد استنكر اليهود هذه القوانين بشدة، فعقدوا اجتماعاً ضم ٤٠٠ محام يهودي في مدينة تل-أبيب عام ١٩٤٦. احتجاجاً عليها. انظرا. محمد اشتية. موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية. دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ٢٠١١، ص٢٧٧. ١٩٣٩. وكانت موجهة ضد الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦، لكنها حاولت تطبيقها ضد نشاطات المنظمات الإرهابية الصهيونية مثل "اتسل"، و"ليحى" وأرجون". وقد استنكر اليهود هذه القوانين بشدة، فعقدوا اجتماعاً ضم ٤٠٠ محام يهودي في مدينة تل-أبيب عام ١٩٤٦. احتجاجاً عليها. انظرا. محمد اشتية. موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية. دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ٢٠١١، ص٢٧٧.

[٢] בוימל, יאיר. הממשל הצבאי ותהליך ביטולו, 1968-1958, כתב עת המזרח החדש, גליון 43, 2004 .עמ'23. https://in.bgu.ac.il/bgi/iyunim/16/yairb.pdf

الساعة الثانية عشرة ظهراً٢٠٢٠/٣/٢٥

يجعل صاحب الأرض غريبا، ويجعل المحتل سيداً على الأرض.

يرجع سبب اختياري لهذه الدراسة، أنها تنغمس في الهموم المعيشة بجرأة. وتقرأ وتحلل وتفسر أزمة الشعب الفلسطيني ووجوده على الأرض. وتطرح وتجسد شخصيات إنسانية مهمومة وصادقة اكتوت بنار الاحتلال. فقد ظلت قضية الصراع على الأرض، واستهداف البيت والإنسان الفلسطيني، ركيزة أساسية في السياسات التي حكمت تعامل إسرائيل مع الفلسطينيين داخلها منذ إقامتها عام ١٩٤٨.

١. تبرز أهمية مسرحية الخليل في تناول الصورة الوحشية للممارسات الإسرائيلية في مدينة الخليل.حيث تصف وتحدد الوسائل التي اتبعتها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مدينة الخليل، لقمع الفلسطينيين وإرهابهم، وإنكار حقوق الإنسان عليهم. فلم يدخر الصهيوني جهداً لاقتلاع هذا الإنسان من أرضه وتجريده من تاريخه وتراثه. فهو لم يطرح نفسه محتلاً للأرض، بل طرح نفسه صاحبها حسب ادعاءاته التاريخية.
٢. تكمن أهمية مسرحية الخليل في أنها تقدم صورة للمرأة الفلسطينية المناضلة الواعية التي تعمل بجد، وتعي مايدور حولها، وتصمد وتقاوم بشتى الطرق والوسائل.
٣. تنبع أهمية مسرحية الخليل في التأكيد على استشراء منهج القوة في المجتمع الإسرائيلي في مواجهة الفلسطينيين، ويمكن القول أن الإفراط في استخدام القوة ضد الفلسطينيين يؤدى فقط إلى تعزيز إرادة المقاومة لديهم وليس العكس، فقد حول الاحتلال حياة الفلسطينيين إلى جحيم، كما صارت حياة الإسرائيليين أيضا صعبة فى ظل استمرار الرفض الفلسطينى للظلم ومقاومته و استمرار العمليات الفدائية ووقوع القتلى والمعوقين ، والدمار الإقتصادي.
٤. تنبع أهمية مسرحية الخليل من ازدياد أهمية الدور السياسي الذي يلعبه الفلسطينيون في إسرائيل بسبب زيادة الوعي السياسي وبسبب التغيرات الاجتماعية والسياسية التي مر فيها المجتمع الفلسطيني في إسرائيل ومن هذه التغيرات: إعادة بناء طبقة متعلمة–جيل الأبناء خليل ورفاقه– بعد أن كانت هذه الطبقة والأغلبية الساحقة من الطبقة الوسطى الفلسطينية قد هُجرت خلال حرب١٩٦٧.

٥. أهمية تامير جرينبرج الأدبية فقد أكد مسئولو مسرح هبيما "أن مسرحية الخليل هي إنجاز رائع لكاتب مسرحي في بداية مسيرته الأدبية"(٣)، وأكد" "עודד קוטלר" اوديد كوتلر مخرج العرض "أن مسرحية الخليل تضع جرينبرج في مستوى واحد مع"חנוך לוין"" خانوخ لفين [٤][٥]، "فقد بدأت معاناة الفلسطينيين تجد من يعبر عنها"[٦]. فقد نجح جرينبرج في تصوير ووصف المعاناة والألم الفلسطيني، ووصف صموده ومقاومته وتضحياته.

تهدف الدراسة إلى:

- الكشف عن سياسة العقاب الجماعي التي تمارسها قوات الاحتلال الإسرائيلي لقمع الفلسطينيين وإرهابهم واقتلاعهم من أرضهم.
- إظهار فشل سياسة العقاب الجماعي ضد الفلسطينيين.
- الكشف عن معاناة الفلسطينيين على الحواجز العسكرية خاصة العمال والمرضي الفلسطينيون.

---

[٣] יודילוביץ', מרב. הבימה והקאמרי ישתפו פעולה בעונה הבאה, התיאטרונים יעלו במשותף את "אנטיגונה" מאת סופוקלס בבימויו של חנן שניר ואת "חברון" מאת תמיר גרינברג ובבימויו של עודד קוטלר.ידיעות אחרונות, 2006/1/4.

[٤] שרייבר, תמרה. חברון, משחק הדמעות, האם מדובר בשערוריה הבאה בתיאטרון? ההצגה החדשה "חברון" מציגה את הכובש הישראלי בצורה בוטה, שכמוה לא נראתה כבר שנים רבות על הבמה. גלובס, 2007/6/24. https://www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1000224456الساعة السابعة مساءً ٢٠٢٠/٣/٢٥.

[٥] حانوخ لفين "חנוך לוין". وُلد في فلسطين عام ١٩٤٣، درس الفلسفة والأدب العبري بجامعة تل-أبيب، تتناول أعماله المسرحية مسرحيات كوميدية هجائية وتراجيدية ومن أهم أعماله مسرحية أنت وأنا والحرب القادمة "את ואני והמלחמה הבאה"، مسرحية ملكة الحمام"מלכת האמבטיה"ومسرحية يعقوبي وليدنتل "יעקובי ולידנטל". وعمل ليفين كاتباً مسرحياً للمسرح الكاميري في تل أبيب، كما عمل مع المسرح القومي "هابيما" وتوفي عام ١٩٩٩ بعد إصابته بمرض شديد.

Shaked,Gershon.Hebrew Writers, A General Directoty. The Institute for The translation of Hebrew Literture.Israel. April1993.p.77

[٦] צורף، יהודה. מחזה פוליטי בתיאטרון הלאומי , כיצד זה מחזות פוליטיים מזוהים עם סדר היום השמאלני, ערוץ7, 2007/6/29. https://www.inn.co.il/Articles/Article.aspx/6768
الساعة السابعة مساءً ٢٠٢٠/٣/٣.

- إماطة اللثام عن معاناة الطفل الفلسطيني من بؤس وتشرد وانخراط أعداد منهم في العمل نتيجة الأوضاع المعيشية الصعبة.
- إماطة اللثام عن دور المرأة الفلسطينية في الدفاع عن بيتها وأسرتها.
- إظهار التلاحم والتأخي بين الشخصيات المناضلة.
- إماطة اللثام عن صورة الفلسطيني الخائن لوطنه.
- الكشف عن كيفية تعبير الأديب الإسرائيلي عن معاناة الفلسطينيين تحت الحكم العسكري الإسرائيلي وهل عبر بشكل حيادي أم لإقرار رؤية معينة.

عدم وجود أية دراسة أدبية عن"تامير جرينبرج" أو عن مسرحيته محل الدراسة.

التزمت الدراسة بالمنهج التحليلي النقدي الذي يعني بتحليل ونقد المسرحية محل الدراسة لاستخلاص النتائج التي تمكننا من فهم النص ودلالاته بصورة أشمل. وذلك بهدف فهم أعمق لواقع معاناة الفلسطينيين عموماً، والأطفال الفلسطينيين على وجه الخصوص.

الدراسات السابقة:

أ.د نجلاء رأفت سالم. الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الفلسطينيين. ترجمة لبعض تقارير بيتسليم، مجلة هرمس، جامعة القاهرة، المجلد الثاني، العدد ١، يناير ٢٠١٣م.

أولاً: أسباب كتابة المسرحية

أكد جرينبرج أن دافعه لكتابة المسرحية "لم يكن كتابة مسرحية سياسية، بل الرغبة في كتابة مأساة تعرض الوضع الصعب الذي نعيش فيه هنا. وتؤكد عمق الصراع على هذه الأرض، وأن الإسرائيليين والفلسطينيين وقعوا في صراع ذى أبعاد أسطورية، وهذه المأساة السياسية لا تشمل البشر فحسب، بل الكون كله، فالأم الأرض، عائلة أشجار الزيتون، ويوم ربيعي دافئ تحولوا جميعاً إلى شخصيات بشرية، يؤدون أدوارهم مثل الجوقة في المأساة اليونانية، وتؤكد النظرة البعيدة والمصيرية التي تتداخل في حبكة المسرحية وتفسرها"(٧). يضيف جرينبرج "لم أحاول إصدار حكم على أي الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني، بل حاولت أن أظهر الجانب الإنساني للمأساة دون طمس الحقائق المعروفة، فهناك طرف حاكم وآخر

(٧) שוחט، ציפי. ההצגה שתצית אש، ילדים נרצחים ,האדמה אינה מוכנה לקלוט את המתים ,עיר עולה בלהבות . המחזה" חברון "שעולה השבוע לא יעבור בשקט. הארץ. 21/6/2007.

محكوم"[٨].وأضاف "السؤال الذي كنت طرحته على نفسي هو: هل نملك حقاً تاريخياً في "أرض إسرائيل"؟ الجواب هو نعم، لأنه إن لم يكن الأمر كذلك لما كان لنا حق في العيش هنا. لكن في الوضع الحالي فإن هذا الحق التاريخي يحرمنا من الحياة الطبيعية، لذلك يجب إبطال هذا الحق"[٩]. تجدر الإشارة إلى أنه "قد تبلورت فكرة المسرحية لدي الكاتب عندما كان يتابع الأخبار في ذروة الانتفاضة الفلسطينية الثانية، واستمرت كتابة المسرحية لمدة ثلاث سنوات"[١٠].

ثانياً: التعريف بالمسرحية

صدرت مسرحية "الخليل" في عام ٢٠٠٧م، عن دار نشر "هكيبوتس همواحد"، وعُرضت المسرحية لأول مرة كإنتاج مشترك للمسرحين الكبيرين "هبيما" و"الكاميري" بمدينة تل–أبيب في يونيو عام ٢٠٠٧م، كما عُرضت على مسرح شاوسبيلهاوس"השאושפילהאוס" بمدينة هامبورج بألمانيا"[١١].تجدر الإشارة إلى أن "هناك فارقاً جوهرياً بين تناول المسرحية من خلال رؤية أدبية، وبين تناولها من خلال رؤية مسرحية (درامية) على الرغم من أن تناول المسرحية في الحالتين هو بمثابة تناول مصدر أصيل وعبء بحثي مشروع"[١٢]. "فالمسرحية ليست فنا للقراءة فحسب وإنما هي فن المشاهدة أساسا باعتبارها فن القول الأدائي في المقام الأول، مما يجعلها تختلف كل الإختلاف عن الفنون الأدبية الأخري"[١٣]. وسوف أتناول، في هذه الدراسة، مسرحية "الخليل، من خلال منظور النص الأدبي.

قد أثارت المسرحية احتجاجاً عاماً أثناء عرضها، فقد وصفت المسرحية بأنها معادية للسامية حيث تم عرض الجانب الإسرائيلي كمحتل قاس، الجانب الفلسطيني كضحية معذبة،

---

[٨]דץ, אייל. האם עודד קוטלר, שמסרב להופיע באריאל, יעלה הצגה בגוש עציון?. וואלה.2010/5/9. الساعة الثانية عشرة ظهراً ٢٠١٩/٨/٥ https://e.walla.co.il/item/1729916

[٩]שם.

[١٠] 0שרייבר, תמרה. שם.

[١١])קורות חייו של תמירגרינברג. לקסיקון הספרות העברית החדשה, תמיר גרינברג https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00959.php

الساعة الثانية عشرة ظهراً ٢٠١٨/٥/٥

[١٢] 0 רוזיק, אלי.יסודות ניתוח המחזה, הוצאת אור העם, תל-אביב,1992.עמ'13.

[١٣] على الراعي. فن المسرحية. سلسلة كتب للجميع، العدد ١٤٩، القاهرة،١٩٥٩، ص٣٤.

وهدد عضو الكنسيت"ניסן סלומיאנסקי" نيسان سلومانسكى عن حزب "المفدال"[١٤]. بوقف الدعم الحكومي المخصص لمسرحي "هبيما" و"الكاميري" إذا لم يتم وقف عرض المسرحية، كما أرسل خطاب شديد اللهجة إلى وزيرة الخارجية الإسرائيلية "ציפי לבני" تسيفي ليفني، والذي احتج فيه على قيام الوزارة بالمساعدة في تنظيم وتمويل عرض المسرحية في لندن وبرلين"[١٥].

ثالثاً: حياة الكاتب تامير جرينبرج ونتاجه الأدبي

شاعر وكاتب مسرحي ومهندس معماري، وُلد تامير جرينبرج في مدينة نتانيا عام ١٩٥٩م، "يقيم في مدينة يافا، وهو رئيس قسم الهندسة المعمارية والتصميم الداخلي في كلية شنكار للمهندسين المعماريين، ترجمت قصائده لعدة لغات، "فاز بجائزة رئيس الوزراء للأدباء العبريين عام ٢٠٠٩"[١٦] ومن أهم أعماله مسرحية "מזמור לדוד"مزمور لداود صدرت في عام ١٩٨٧م، وعُرضت في مهرجان عكا، ديوان "דיוקן עצמי עם קוונט וחתול מת" بورترية ذاتي مع كفنت وقط ميت صدر في عام ١٩٩٣م، وديوان "על הנפש הצמאה" عن الروح ظمأى صدر في عام٢٠٠٠م، ومسرحية "חברון" الخليل صدرت في عام ٢٠٠٧م، و"ديوان "הרואין, הישארות הנפש" الهيروين، بقاء الروح صدر في عام ٢٠١٧م"[١٧].

---

[١٤] 0المفدال: تأسس الحزب الدينى القومى في صيف عام ١٩٥٦، بعد توحيد حزبى" المزراحى" و"العامل المزراحى"، وعكست هذه التسمية " العنصر القومي" الذي أخذ " العامل المزراحي" يشدد عليه في أيديولوجيته، و"العنصر الديني" الذي شدد عليه "المزراحي". "، ويوجد فى داخل" المفدال "ثلاثة أجنحة أساسية، حيث يمثل" العامل المزراحي" أقصى التطرف اليسارى، وكتلة الوسط، وتمثل نحو ٤٥ % من الحزب، ثم تأتى بعد ذلك عصب مختلفة منها عصبة المزارعين، وعصبة السفارديم، وقد شارك المفدال فى كل الائتلافات والحكومات، وكانت وزارة الأديان دائماً من نصيبه، وخاض " المفدال" انتخابات الكنيست السابع ١٩٦٩ منفردا وحصل على ١٢ مقعدا، ولكنه انتكس في انتاخابات الكنيست الثامن ١٩٧٣، وحصل على عشرة مقاعد بسبب آثار حرب أكتوبر على هذه الانتخابات. للمزيد انظر:رشاد عبد الله الشامي. القوي الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة .عالم المعرفة، عدد١٨٦، الكويت،١٩٩٤. ص ص٨٦-٩٤.

[١٥] 0 בנדר, אריק. להוריד מיד את ההצגה חברון",ח"כ סלומיאנסקי מאיים כי התקציב עבור "הבימה" ו"הקאמרי" ייפגע, אם לא יפסיקו להציג את המחזה. מעריב. 2007/11/4.

[١٦] 0 שיף, עינב. הוכרזו הזוכים בפרסי היצירה לסופרים עבריים.וואלה,2009-12-24.
الساعة الثانية عشرة ظهراً ٢٠١٩/٩/٥ https://e.walla.co.il/item/1625081

[١٧] 0 ראובני, יותם. "הרואין, הישארות הנפש": פרידה מכירת לב מאהוב שהתמכר לסמים. הארץ, 12-2-2018 .

رابعاً: عرض موجز للمسرحية

مسرحية الخليل هي مسرحية سياسية مكتوبه بلغة أدبية وشعرية وتضم شخصيات أسطورية"[١٨]، "هذه اللغة التي تكاد تكون مفقودة في المسرح السياسي الإسرائيلي في العقدين الأخيرين"[١٩]، وحوار جرنبرج في مسرحية "الخليل" حوار متميز، كلماته مختارة مركزة وجمله قصيرة موجزة، يعبر بوضوح عن فكرته الرئيسية. وبناء المسرحية هو بناء كلاسيكي، يتكون من استهلال وثلاثة فصول، وحركات داخلية لتأجيج الصراع، يفتتح جرينبرج مسرحيته باستهلال، يتحدث فيه شخصيات أسطورية تمثل الطبيعة مثل عائلة أشجار زيتون، يوم ربيعي دافئ، الأم الأرض.

البداية متفائلة، مدينة الخليل تنبض بالحياة، ويعلن يوم ربيعي دافئ عن قدومه إلى المدينة، بأن طير العديد من الفراشات فوقها، وتفوح من الأزقة عطر الزهور، ونمت لأشجار الزيتون حبات رائعة، فهذا السلام المؤقت تخترقة الأم الأرض وتتطلب من يوم ربيعي دافئ المغادرة، لأنه سيحل محله يوم شتائي غائم، فمنذ شهرين، والأم الأرض لا عمل لها سوى احتضان الأموات. كما تتوقع قدوم يوم الغفران والنهاية الذي سيهدأ من لهب الانتقام وسيجمد في النفس البشرية شهوة القتل. فقد أدرك جرينبرج أن توظيف الأسطورة يزيد الفكرة المعاصرة وضوحاً، ويجعل منها العنصر الذي تنشط الأفكار عن طريقه، وحاول من خلالها أن يقدم للقارئ صورة للحالة المعاصرة لمجتمعه، ولمعاناة الفلسطينيين داخله.

أما الفصول الثلاثة فتعرض واقع الاحتلال الإسرائيلي في مدينة الخليل من خلال الصراع بين عائلتين، أحداهما إسرائيلية والأخرى فلسطينية. تجدر الإشارة إلى أنه بعد حرب ١٩٦٧ واحتلال الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة أصبح الفلسطيني قاسماً مشتركاً في معظم الأعمال الأدبية بشكل مباشر أو غير مباشر وأصبح الصراع مع شخصية الفلسطيني يلقى بظلاله على موضوع أي عمل أدبي ولم يعد الفلسطيني شخصية

[١٨] שוחט، ציפי. המחזה "חברון" של תמיר גרינברג יועלה בהמבורג. הארץ. 2006/1/18.
[١٩] המאירי، ישראל. השורשים המיתולוגיים של המאבק על חברון. הארץ. 2007/9/11.

مهمشة"[٢٠]. " بل في إطار شعبين يعيشان على قطعة أرض واحدة في وطن الحنين المتعارض في صراع مرير طويل يدور بأشكال مختلفة وليست لهذه الأعمال نهاية متقائلة"[٢١]. وتتكون العائلة الإسرائيلية من الأب "בעז מימון" بوعز ميمون الحاكم العسكري لمدينة الخليل،يأتى إختيار بطل الرواية رجلاً عسكرياً تعبيراً عن الهوس الدائم للمجتمع الإسرائيلي بالقوة وبرموزها؛ الذي يرمز أيضا في المسرحية إلى حال دولة إسرائيل المتعسكرة دوماً. وزوجته "רחלי" راحيلي وأبنائهما" אליאב" إليئاف ويبلغ تسعة عشرة عاماً، يتصف بالكره الشديد للفلسطينيين، و"איילה" إيالاه البالغة من العمر الثانية عشرة ربيعاً، تحب العزف على القيثارة. و"יותם" يوتام. بينما تتكون العائلة الفلسطينية من الجد "חאדר כנענאי" خضر كنعاني، الذي كان رئيساً لبلدية الخليل قبل الاحتلال، وما يلفت النظر هنا هو المعنى الدلالي لاسمه، حيث سمي نسبة إلى الكنعانيين،بناة المدينة. فقد بنى العرب الكنعانيون مدينة الخليل وأطلقوا عليها اسم قرية أربع "نسبة إلى منشئها الملك أربع الكنعاني المنتمي إلى قبيلة العناقيين"[٢٢]. ويدل اختيار الاسم من قبل الكاتب على اعترافه بحق الفلسطينيين في أرضهم، أقله مدينة الخليل مسرح أحداث المسرحية. فما لم يستطع جرينبرج التعبير عنه صراحة عبر عنه رمزاً. يبقى الرمز وسيلة من وسائل التعبير غير المباشر عن الآراء والأحاسيس المستترة، التي تعجز اللغة عن التعبير عنها. وزوجته " סאמר" سمر وأبنائهما "מהדי" مهدي هو الابن البكر لخضر الكنعاني، يبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، ويعاني من مرض عقلي، يجعله طفلاً بجسد رجل. يحب العزف على الناي. و"חליל" خليل الابن الثاني لخضر كنعاني، ويبلغ الرابعة والعشرين من العمر، طالب في جامعة بيرزيت الفلسطينية، وزوجته "רנייה" رانيا ونجلهما "נעים" نعيم.

قد سادت بين العائلتين علاقات الاحترام والتقدير حتى قرر خليل نجل خضر كنعاني اغتيال الحاكم العسكري رداً على إهانة والده من قبل جنود الجيش الإسرائيلي. ولكنه

---

[٢٠] בן עזר, אהוד. במולדת הגעגועים המנוגדים, הערבי בספרות העברית, מבחר סיפורים ומבוא, זמורה ביתן ישראל, 1992,עמ'50.

[٢١] שם.עמ'50.

[٢٢] 0محمد عبد الرحمن. قصة مدينة الخليل. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، العدد١٩، ص٧.

يخطأ، فيصيب يوتام ابن الثلاثة أعوام ويرديه قتيلاً. ويتمكن خليل من الهروب، وترفض راحيلي دفن طفلها، قبل أن ينزل زوجها الحاكم العسكري العقاب الرادع بالقاتل وأسرته. يؤدى قتل يوتام "إلى الدخول في دائرة من القتل وإراقة الدماء المتبادلة بين العائلتين، وهي الفكرة الرئيسية التي تناولها "חנוך לוין" حانوخ لفين في مسرحية قتل"רצח""[٢٣]. ويقوم إليئاف بخطف الطفل نعيم ذو السبعة شهور عنوة من حضن أمه رانيا، ويسقط نعيم من يده ويموت. وترفض رانيا دفن نجلها حتي ينتهي الاحتلال الإسرائيلي للخليل ويعود خضر كنعاني رئيس لبلدية الخليل مرة أخرى. ويخرج المواطنون الفلسطينيون للتظاهر دفاعا عن بيت كنعاني من الهدم، فقد صدرت أوامر الحاكم العسكري بهدم المنزل وقطع أشجار الزيتون من أمامه، ويقتل عدد منهم ويصاب آخرون. ويرفض الفلسطينيون دفن قتيلاهم، وتنتشر الجثث في الشوارع والجرذان الكبيرة والمثيرة للاشمئزاز ملأت المدينة، " والتي ترمز إلى الفساد واستحالة حل هذا الصراع"[٢٤].

يهاجم الجيش الإسرائيلي البيت الذي يختبئ فيه خليل والمقاومون، ويحدث اشتباك بينهما، ويلتقي خليل وإليئاف القادم لقتله، ويتمكن خليل منه ويقتله. يتمكن خليل من الهروب ويذهب إلى والده في الخيمة التي أقامها مكان منزله بعد أن هدمته قوات الاحتلال، ويراه حزيناً، يصارع الموت فيعانقه ويخرج أنفاسه الأخيرة. يقسم خليل أن يقتل كل أفراد عائلة الحاكم العسكري، بسبب فقدانه والديه ونجله. وعندما يحاول قتل أيالاه يمنعه مهدي، ويهوى خليل على الأرض ميتاً من أثر الجروح في جسده. يأمر الحاكم العسكري بدفن القتلي بما فيهم ابناه يوتام وإليئاف، وتغضب الأم الأرض وتنتقم لأنهم لم يدفنوا في الوقت المناسب، وترفض دفنهم في باطنها وتقذفهم في كل اتجاه، يصاب بوعز بالاحباط واليأس ويقرر ترك عمله في الجيش الذي لم يجلب له غير الحسرة والموت لأولاده. وتؤيده زوجته وترى أنها اخطأت عندما أصرت على البقاء في الخليل. وينتشر وباء مستعر في المدينة، يؤدى إلى

---

[٢٣] שוחט، ציפי. ההצגה שתצית אש، שם.

[٢٤] שילוח، שרון. עיר האיבות، יש חשיבות לחומר אתו מתמודדת ההצגה "חברון", אך הטיפול בו ריק מתוכן . חדשות13 . ٢٠٠٧/٧/١١. https://13news.co.il/10news/bidur/79357
الساعة الثامنة مساءً ٢٠١٩/١٣/٢٥

موت كل من أصيب به، لوقف انتشار الوباء يقرر بوعز اشعال النار في المدينة كلها.

تنتهي أحداث المسرحية بلقاء ثلاثة أطفال الهاربين من مدينة الخليل المدمرة، مهدي وإيالاه والطفل الفلسطيني المستأجر وجوههم متجه إلى أرض أحلامهم، إلى المكان الذي يلعب فيه الأطفال في الشوارع حتى وقت متأخر من الليل ولا يخافون الرصاص والقنابل، ولا يوجد من يرافقهم إلى المدرسة، ولا جنود، وفي أيام الجمعة ينظمون الحفلات ويرقصون طوال الليل، وفي يوم السبت يسبحون في البحر، وهناك يعيش أيضا نعيم ويوتام يدا بيد.

خامساً: الدوافع الدينية والتاريخية لاستعمار الخليل

شكلت مدينة الخليل محور اهتمام الحركة الصهيونية، منذ نشأتها وحتى الآن. وتحظى مدينة الخليل بمكانة خاصة لدى اليهود، فهى حسب ادعائهم كانت عاصمة دولة يهودا قبل آلاف السنين، وحاليا يعتبرونها من أقدس الأماكن لديهم بعد القدس، وهذا ما يؤكده دافيد بن جوريون بقوله "إن مدينة القدس هى عاصمة الديانات الثلاث أما الخليل فهي عاصمة إسرائيل"(٢٥). وكانت منطلقاتهم دينية تاريخية معتبرين مدينة الخليل مدينة الآباء والأجداد التي يجب إحياء الاستيطان فيها. حاولت سلطات الاحتلال الإسرائيلي تحويل مدينة الخليل العربية إلى مدينة يهودية، والحرم الإبراهيمي إلى كنيس يهودي، من خلال إقامة البؤر الاستيطانية في قلب مدينة الخليل، مماحولها إلى ثكنة عسكرية وخاصة البلدة القديمة فيها. شكل الدافع الديني والتاريخي للاستعمار في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧م، خاصة في القدس والخليل محركاً قوياً لعدد من دعاة الاستعمار بسبب وجود هيكل سليمان المزعوم في الأولى، ولكون الخليل حسب ادعائهم عاصمة لمملكة داوود، وفيها قبور بعض الأنبياء وأزواجهم في مغارة المكفيلة الموجودة تحت الحرم الإبراهيمي ومن هذا المنطلق يعتبر الاستيطان في منطقة الخليل أمراً مقدساً ومشروعاً حسب زعمهم. وهو ما أكدته "أيالاه" في حوارها مع "مهدى" بقولها:

" לך מפה! האדמה הזו שלנו ! אבותינו אברהם יצחק ויעקב קבורים במערכת המכפלה!"(٢٦).

(٢٥)عرفات حجازى. مدينة خليل الرحمن والتحدي الصهيوني، دار الصباح،الاردن، ١٩٨٥. ص٣٩.

(٢٦) גרינברג، תמיר. חברון. הוצאת הקיבוץ המאוחד، תל-אביב، עמ' 51.

" اذهب من هنا! هذه أرضنا! أباؤنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب مدفونون في مغارة المكفيلة!".

قد دأبت الحركة الصهيونية ومنذ نشأتها، على إضفاء الصبغة الدينية والتاريخية على الأماكن التي يتم الاستيطان فيها، مما ساهم بشكل كبير في جذب الكثير من اليهود إليها. وربط اليهود بمدينة الخليل من خلال الزعم بأنها "مدينة الآباء". إنما يقدم حجة صهيونية لا أساس لها، تدعي أن هذه الـ"عودة" هي عودة إلى ما يملكه اليهود أساسا، أي الخليل"مدينة الآباء والأجداد".بهدف إيجاد جذور لهم في فلسطين وأن من حق اليهود استيطانها. وهو ما أكدته "راحيلى" في إصرارها على البقاء في الخليل والاستيطان في البلدة القديمة بالقرب من مقابر الأنبياء بقولها:

" רחלי הציעו לבעז תפקיד גם בצפון.
אני הפצרתי בו לשוב לעיר חברון.
"אהיה עם לאה ויואל אחי", אמרתי לו,
"נגור סמוך לקבר אבותינו,
יעקב, יצחק ואברהם..."[٢٧].

" راحيلي أقترحوا على بوعز وظيفة أيضا في الشمال.
توسلت إليه للعودة إلى مدينة الخليل.
وقلت له، "سأكون مع ليئة وأخى يوئيل،
"نعيش بالقرب من مقبرة آبائنا،
يعقوب، إسحق، إبراهيم...".

أن أهم ما يميز حالة الاستعمار الصهيوني في فلسطين هي محاولة الربط الدائمة بين الماضى التوراتي، والحاضر الاستعماري. لذلك فقد كانت الصهيونية ترى في السكان الفلسطينيين صاحب الأرض الشرعيين جزءاً من البيئة المحلية الغريبة ذات الوجود الهامشي. وقد أدى هذا الربط بين الماضي والحاضر دوراً كبيراً في خلق أساطير يهودية حول الوجود اليهودي وشرعية وجوده على الأرض باعتباره الشعب صاحب الأرض.وهو ما أشارت إليه

[٢٧]גרינברג, תמיר. שם. עמ' 12.

"לאה" ليئة زوجة شقيق راحيلي بحق اليهود في العودة إلى فلسطين واستعمارها لأنها المكان الذي وُلد فيه أجدادهم قائلاً:

"לאה האם זה חטא לשוב לבית בו נולד סבך?"(٢٨).

ليئة هل هذا خطأ أن تعود إلى البيت الذي فيه وُلد جدك؟".

لقد أرادت الحركة الصهيونية أن توحد يهود العالم حول هدف واحد هو استعمار أرض فلسطين، وساقت لذلك كل ما يقدم لهم هذا الفعل على أنه ليس استعماراً وإنما "عودة" لهم إلى "وطنهم القومي."وقيام دولة إسرائيل على أنه تحقيق لرغبة كامنة في روح الإنسان اليهودي، وهي رغبة العودة"(٢٩). وبذلك تحافظ الصهيونية على مشروعها باعتباره جاء في خدمة الدين، وليس تنفيذاً لأفكار استعمارية بحتة.

سادساً: تهويد المكان وطمس هويته

يكتسب المكان في المسرحية أهمية كبيرة، فقد اتُخذت مدينة الخليل، مسرحاً للأحداث، فالمكان هو رمز للصراع على أرض فلسطين بين أصحاب الأرض الشرعيين وبين الصهاينة المغتصبين، ولاختيار هذا المكان في المسرحية مغزي آخر حيث يبرز معاناة الشعب الفلسطيني عبر تاريخه كنتيجة للصراع الذي لم يحل منذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨وحتى اليوم.

أن "التأثير المتبادل بين الشخصية والمكان، يجعل كلاً منهما خاضعاً للآخر في تحديد الكثير من سماته، كما أن المكان يدخل في علاقة مباشرة مع الحدث، فهو عنصر من العناصر المكونه للحدث، بل إن مجرد الإشارة إلى مكان تجعلنا ننتظر قيام الحدث"(٣٠). وقد اهتم "خليل" بوصف المكان وأبعاده، وتتبع جزئياته، وتحديد ما طرأ عليه من تغيرات، فهو مشدود إليه بكل حواسه، لأنّه جزء من وجوده وكيانه. وهو ما أشار إليه "خليل"بقوله:

" חליל את הלשכה שלך הפכו למפקדה
ובמקום שבו הייתה תלויה תמונה של סבא

٢٨()שם. עמ' 12.

٢٩ 0 محمد خليفة حسن. الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي. العدد٤، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٨.

(٣٠)حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩٠ م. ص٣٠.

דגל ישראל תלוי עכשיו"[٣١].

" خليل حولوا مكتبك إلى مقر قيادة
وفي المكان الذي تم تعليق صور الجد
فيه معلق الآن علم إسرائيل".

لقد مارست سلطات الاحتلال الإسرائيلي ضروباً من الانتهاكات والإجراءات التهويدية والتحديات المختلفة للوجود الفلسطيني في مدينة الخليل من أجل طمس معالمها العربية والإسلامية. وصبغها بطابع يهودي غريب عنها، حيث خلعت رئيس بلدية الخليل من منصبه صادرت سلطات الاحتلال نصف ما يملكه من الأراضي، ومنعته من دخول بستانه، وهو ما أشار إليه "خليل" بقوله:

" חליל תחילה סילקו אותך מתפקידך,
אחר כך מחצית מאדמותינו הופקעו,
את הכניסה אל המטע אסרו"[٣٢].

" خليل أولاً عزلوك من منصبك،
بعد ذلك صادروا نصف أرضنا،
منعوا الدخول إلى البستان".

يطلق على التغييرات التي أحدثها الصهاينة في فلسطين "مصطلح "de–Arabization" طمس المعالم العربية ومصطلح "Judaization" تهويد، "وذلك للتدليل على السياسات والممارسات الصهيونية التي تنتهجها السلطات الإسرائيلية لتحويل فلسطين أو أجزاء منها، إلى مناطق استيطان يهودي مكثف، إما عن طريق التفريغ الجسماني للسكان العرب من هذه المناطق، أو عن طريق غلق هذه المناطق ومنع العرب من استعمالها فعلياً، أو حتى عن طريق زيادة استيطان يهودي. وفي الوقت نفسه، تقوم السلطات الإسرائيلية بمحو الملامح العربية والحضارية لهذه المناطق، واستبدالها باستعمالات وملامح يهودية

[٣١] גרינברג, תמיר. שם. עמ' 19.
[٣٢] שם. עמ' 20.

جديدة؛ وتستمر في هذه العمليات حتى تطمس الهوية العربية الأصلية للمنطقة"[٣٣].

سابعاً: مصادرة الأراضي

قد استخدمت أنظمة الطوارئ لمصادرة "الأراضي البور"، حيث كان وزير الدفاع يعلن عن أراضي قرى معينة مناطق مغلقة يُحظر الدخول إليها إلا بتصريح. وهكذا يُمنع صاحب الأرض من الوصول إليها وفلاحتها. "وعندما كان يتوجه إلى الحاكم العسكري، طالباً تصريحاً للوصول إلى أرضه، يأبى الحاكم العسكري إعطاءه التصريح الذي يمكنه من الوصول إلى أرضه وفلاحتها. وهكذا تتحول إلى "أرض بور"، فيضع وزير الزراعة يده عليها بحجة أنها أرض بور، ويعطيها للكيبوتسات والمستوطنات لفلاحتها"[٣٤]. وهو ما حدث مع خضر كنعاني فقد اعتبر الحاكم العسكري بستانه منطقة مغلقه ومنع دخول أو خروج أي فرد ما لم يحصل على تصريح خاص منه. لذلك ذهب خضر إلى الحاكم العسكري للحصول على تصريح يسمح له بالدخول إلى بستانه وجنى ثمار الزيتون التي أثقلت فروع الأشجار. ورفض الحاكم العسكري إعطاءه تصريحاً لقطف ثمار أشجار الزيتون وهو ما أكده "خليل" بقوله:

" ראיה את העצים שלנו, אבא, הענפים כפופים לאדמה
ועמוסים זיתים, אבל עלינו הם אוסרים למסוק!"[٣٥].

" منظر أشجارنا ياوالدي، الفروع منحنيه للأرض
ومحمله بثمار الزيتون،ولكن علينا حظروا الحصاد".

توضح الفقرة السابقة أنه لا يسمح لخضر بدخول بستانه إلا من خلال تصريح مما يشعره بالذل من لحظة تقديمه طلب التصريح إلى لحظة الحصول عليه. أو عدم الحصول عليه. وأهم معضلة في الموضوع أن التصريح يمنح لصاحب الأرض.

ثامناً: التجويع

[٣٣]()غازى فلاح: "أسرلة" الجغرافيا العربية لفلسطين، مجلة شؤون فلسطينية، عدد٢٠٩، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، قبرص ،أغسطس ١٩٩٠، ص١٥.

[٣٤] يوسف تيسير جبارين. أنظمة الطوارئ. الفلسطينيون في إسرائيل: قراءات في التاريخ، والسياسة، والمجتمع،مدى الكرمل – المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية،٢٠١١،ص٧٠.

[٣٥]גרינברג, תמיר. שם. עמ' 19.

يعتبر محصول الزيتون سلعة اقتصادية أساسية يستعد لها، وينتظرها جميع أفراد الأسرة، فقد شكل الزيتون عماد حياة الفلسطينيين، فالمثل الفلسطيني يقول: الزيت عماد البيت، فحاربت سلطات الاحتلال الفلسطينيين بتجويع أسرهم بفقدان مصدر الدخل الرئيسي، من خلال عدم السماح لهم بجني ثمار الزيتون وبيع محصوله، وهو ماأكده خليل لوالده بقوله:

" אך מה נאכל אם לא נמכור זיתים"[٣٦].

" لكن ماذا سنأكل إذا لم نقم ببيع الزيتون".

توضح الفقرة السابقة حالة الفقر التي يعيشها الفلسطينيون وصعوبة الحياة التي يعيشونها. فقد كان هدف الحاكم العسكري هو التضييق على خضر كنعاني بعد أن أصبح مزارعاً، وحرمانه من مصدر داخله، كي تزداد أوضاعه سوءاً، فتنهار قدرته على الصمود والمقاومة، ويضطر إلى الهجرة طلباً للرزق. وهو ما يريده البرنامج الصهيوني الاستعماري.

تاسعاً: سياسة العقاب الجماعي ضد الفلسطينيين

تمارس قوات الاحتلال الإسرائيلي سياسة العقاب الجماعي "من خلال مجموعة واسعة من الأوامر العسكرية، التي تعتبر بمثابة القانون الوحيد لحكمها الفلسطينيين"[٣٧]، والتي "تتنافي مع اتفاقية جنيف الرابعة التي يتمتع الفلسطينيون في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بحمايتها دولياً، بما في ذلك المادة (٣٣) من الاتفاقية التي تحظر العقاب الجماعي وتشكل عمليات التدمير الواسعة النطاق للممتلكات، والتي لا تبررها الضرورة العسكرية، والتي تُنفذ بصورة متعمدة وغير قانونية، تشكل انتهاكاً جسيماً لاتفاقية جنيف الرابعة"[٣٨]. "قد ألحقت سياسة إسرائيل الضرر بشكل مباشر بحقوق الإعاشة، وبحق الحياة الكريمة، وبحق التعليم، وبحق الصحة .وهذه الحقوق وثيقة الصلة بميثاق الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية

---

[٣٦] שם. עמ' 19.

[٣٧] عامر راشد. فلسطين مائة عام بحثاً عن الحرية والعدالة: ونشوء القضية الفلسطينية وتطورها، ابن رشد، القاهرة، ٢٠١٧، ص٩١.

[٣٨] بتسيلم. مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة. هدم البيوت كوسيلة عقاب.٢٠١٧/١١/١١. أسترجعت في ٢٠٢٠/٣/٢٦ الساعة ٢:١٠ من
https://www.btselem.org/hebrew/punitive_demolitions

منذ عام ١٩٦٦ م، والتى وقعت إسرائيل عليها، وملزمة بتنفيذها حتى فى المناطق الفلسطينية المحتلة. ومن الواضح أيضا أنه لولم تعمل إسرائيل من أجل تنفيذ الحقوق ذات الصلة الوثيقة بالميثاق؛ فإنه محظور عليها بالتأكيد أن تلحق الضرر بهذه الحقوق بشكل مباشر"[٣٩]. تتمثل هذه السياسة في هدم البيوت، والاعتقالات، وتقييد حرية حركة السكان والبضائع، وفرض الحصار الاقتصادي الخانق الذي يمنع وصول إمدادات الغذاء والأدوية والوقود. تتطرق المسرحية إلى العقاب الجماعي للفلسطينيين بكافة تجلياته وقسوته. ومن أهم أشكال الانتهاكات التي اتبعتها سلطات الاحتلال ضد الفلسطينيين في الخليل ما يلي:

١. التهديد

يتصف بوعز ميمون بالجبروت والقوة، متسلحا بمنصبه والقوات التي تحت سلطته. يصل بوعز على رأس فرقة كبيرة من قوات الاحتلال إلى منزل خضر كنعاني ويطالبه بتسليم خليل ويهدده بهدم مدينة الخليل كلها إذا لم يسلم خليل بقوله:

"גם אם יהיה להחריב את כל העיר חברון

אתפוש את הרוצח. הסגר אותו. הקל עליך ועלי"[٤٠].

"حتى لو هدمت مدينة الخليل بأكملها،

سألقى القبض على القاتل. سلمه. تسهيلاً عليك وعلي".

٢. الاعتقال والتعذيب

قامت قوات الاحتلال بتفتيش منزل خضر كنعاني والعبث بمحتوياته. لم تعثر على أي دليل لوجود خليل، ويحضر شقيقه الأكبر مهدي المعاق ذهنياً، وعندما يرى الحاكم العسكري بقع الدم على ملابسه، يحاول استدراجه ليخبره عن مكان اختباء خليل، وعندما يفشل في ذلك يقرر اعتقاله ويعرضه لتعذيب قاسٍ، على أمل أن يحصل منه على معلومات تدله على مكان اختباء خليل، وبعد فشله في إجبار مهدي على الإدلاء بأي معلومات عن مكان اختباء شقيقه يوضع في الجيب العسكري وهو يعاني من جروح وكدمات ويسلمه الجنود لأحمد تاجر الحجارة ليسلمه لوالده خضر كنعاني. وهو ما أكده الحوار الذي دار بين

---

[٣٩] نجلاء رأفت سالم. الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الفلسطينيين. ترجمة لبعض تقارير بيتسليم، مجلة هرمس، جامعة القاهرة، المجلد الثاني، العدد ١، يناير ٢٠١٣،ص٣٤٤.

[٤٠] גרינברג, תמיר. שם. עמ' 24.

مهدي ووالديه بقوله:

"אחמד הגיע ג'יפ, הוריד אותו לעגלה,
הורה לי להביא אותו לכאן והסתלק.

מהדי [נרגש מאוד. מתאמץ לחייך למרות מכאוביו]
היינו בטיול, פתאום היה שם חדר, וכיסא, ואור חזק,
וגם היה שם איש רופא, גדול, רזה,
אבל את החלוק שכח,
ועוד פעם הסברתי לו שאין לי מחלות בכלל,
אבל הוא לא הקשיב!
היו לו גם זריקות ומספריים,
ועוד דברים כאלה משונים,
ורק שאל איפה חליל, איפה חליל"[41].

" أحمد جاءت سيارة جيب، أنزله إلى العربة،
أمرني أن أحضره إلى هنا وانصرف.

مهدي [منفعل جداً. يحاول أن يبتسم رغم آلامه]
كنا في نزهة، وفجأة كان هناك غرفة، وكرسي ، وضوء قوي،
وكان هناك أيضا طبيب، كبير، ونحيف،
لكنه نسي المعطف،
ومرة أخرى أوضحت له أنني لم أصب بأمراض على الإطلاق،
لكنه لم يستمع!
كان معه أيضا حقن ومقص،
وأشياء غريبة أخرى،
وسأل فقط أين خليل، أين خليل".

[41] שם. עמ' 41.

٣. قتل الأبرياء

شكل قتل الإنسان الفلسطيني إحدى الوسائل لإرهاب الشعب الفلسطيني وإجباره على مغادرة أرضه ووطنه. "لقد استندت قوانين القتل والذبح والإبادة الجماعية والفردية لدي اليهود إلى قوانين تعد شرطاً من شروط الانتماء اليهودي، وهي تستند أساساً إلى ايديولوجية عنصرية، تعتمد على مجموعة من الطقوس، ومنها ما يستند إلى الشريعة اليهودية، ومنها ما يعتمد على التلمود وأقوال الحاخامات"(٤٢). فقد جمعت قوانين الحرب فى "العهد القديم" فى سفر التثنية، وهي تحدد لليهود أسلوب الاستيلاء على المدن وأسلوب التعامل مع أهلها فقد ورد في سفر التثنية " الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة هو يبيدهم ويزلهم أمامك فتطردهم وتهلكم سريعاً كما كلمك الرب"(٤٣)، "الرب يطرد من أمامك شعوبًا أكبر وأعظم منك."(٤٤). و"كان لهذه النصوص التوراتية التي اتخذها الحاخامات المتطرفون مصدراً لفتاوى القتل والطرد أثر كبير في تغذية الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والقسوة والوحشية"(٤٥). كما "يعدها القادة الإسرائيليون مصدراً للوحي، وشريعة لإستئناف البعث اليهودي في فلسطين، على أساس أن كل جريمة تصبح شرعية، وقانونية من أجل تحقيق وعد الرب"(٤٦). فعندما "يمارس اليهودي العنف والقتل يتخلص من مخاوفه ويصبح جديرا بالحياة"(٤٧). أكد خليل في حواره مع إليئاف أن القتل عند اليهود ينتقل بالوراثة بقوله:

" הרצח אצלכם עובר בתורשה"(٤٨).

" ينتقل القتل عندكم بالوراثة".

أ. قتل الأطفال

تذهب راحيلي مع نجلها إليئاف إلى منزل خضر كنعاني، وكان زوجها الحاكم

(٤٢) مصطفى اللداوي. الإرهاب الصهيوني- عقيدة ومجتمع وتاريخ دولة،دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٧. ص١٢٧.

(٤٣) سفر التثنية (٣:٩)

(٤٤) سفر التثنية (٤-٢٨).

(٤٥) عمرو عبد العلي علام. المجتمع الإسرائيلي وثقافة الصراع. دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٧. ص١٠٢.

(٤٦) سعيد عبد السلام العكش. مفاهيم عنصرية في الأدب العبري الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٨. ص٧٨.

(٤٧)رشاد الشامي. الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٠٢،١٩٨٦، ص١٦٠.

(٤٨)גרינברג, תמיר. שם. עמ' 76.

العسكري ترافقه قوة عسكرية كبيرة قد سبقوها إلى هناك بحثاً عن خليل قاتل نجلها. ويقوم إليئاف بخطف الطفل "نعيم" الذي يبلغ سبعة شهور من حضن والدته رانيا، ويسقط الطفل من يده ويموت، وهو ما أكده الراوى بقوله:

" סאמר, הילד נפל! סאמר, למה הילד לא בוכה?

[סאמר ורנייה נכנסות בבהילות, נעים בזרועות רנייה]

סאמר איך יתכן שלא בוכה? הרי נפל!

רנייה סאמר, הילד מחרחר! רופא ! רופא !"(٤٩).

" سمر، الولد وقع! سمر، لماذا لا يبكى الولد؟

[تدخل سمر ورانيا بسرعة، نعيم بين ذراعي رانيا]

سمر كيف يمكن لا يبكى؟ لقد وقع!

رانيا سمر الولد يحشرج! طبيب! طبيب!".

يبرر الحاكم العسكري قتل نجله لنعيم بأنه مجرد خطأ غير متعمد بقوله:

" בעז בני טעה, אך לא היתה לו כונה לרצוח.

סמאר טעה?!

בעז צר לי על הילד המסכן, וצר לי עליכם"(٥٠).

" بوعز ابني أخطأ، لكن لم يكن لديه نية القتل.

سمر أخطأ؟!

بوعز يحزنني ما حل بطفل المسكين، ويحزنني ما حل بكم".

تجدر الإشارة إلى أن "قتل اليهودي في الديانة اليهودية يعتبر جريمة كبرى، وواحدة من ثلاث خطايا شنيعة، إضافة إلى الوثنية والزنا، بينما لا يعتبر قتل غير يهودي بطريقة غير مباشرة خطيئة أبدا، فيما يعتبر مذنبا فقط بحكم شريعة السماء ولا تعاقب عليها المحكمة

(٤٩)שם. עמ' 27-28.
(٥٠)שם. עמ' 58.

"[٥١].

ب.قتل النساء

تعرض المسرحية قتل النساء على أنه دفاع عن النفس، هدفه دفع الخطر عن الحاكم العسكري المدجج بالسلاح وسط جنوده. يقول بوعز لإليئاف أنه قتل سمر لأنها شكلت خطراً على حياته، بعد أن حاولت طعنه بسكين بقوله:

" ירית בה כשניסתה לדקור אותי"[٥٢].

" أطلقت النار عليها عندما حاولت طعني".

يؤكد بوعز أن لديهم أنظمة وقوانين، وإنه عند قتل المدنيين الفلسطينيين، يتم تشكيل لجان تحقيق من قبل المؤسسة العسكرية للتحقيق في ممارسات أفرادها، بقوله:

" כל העדים ראו וכך יעידו גם בפני הוועדה"[٥٣].

" كل الشهود رأوا ذلك وهذا ما سيقولونه في إفاداتهم أمام اللجنة".

بينما يرى إليئاف أن الدافع وراء قتل والده لسمر هو الانتقام بقوله:

" אליאב [צוחק]

אבא, תאמר לוועדה מה שתאמר,

אבל בינינו, רק בינינו, ירית בה כדי לנקום!"[٥٤].

" إليئاف [يضحك]

والدي، قل للجنة ماشئت أن تقول،

لكن بيننا، فقط بيننا، أنت أطلقت النار عليها انتقاماً!".

تتضح الرغبه في الانتقام لدي بوعز في تأكيده على أن نجله قتل ولم يمت بقوله: " בני נרצח. לא מת"[٥٥]. " ابني قتل. لم يمت".

٣.هدم منازل الفلسطينيين

[٥١]إسرائيل شاحاك. الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة حسن خضر، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٣٤.

[٥٢]גרינברג, תמיר. שם. עמ' 64.

[٥٣]() שם. עמ' 64.

[٥٤]() שם. עמ' 64.

[٥٥]שם. עמ' 64.

تمارس إسرائيل "سياسة هدم المنازل"[٥٦] كإحدى آليات العقاب الجماعي التي دأبت على إتباعها منذ احتلالها للأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧ وحتى هذه اللحظة، تهدف سياسة هدم المنازل إلى إيذاء فلسطينيين أبرياء لا ذنب لهم، ولم يفعلوا شيئًا ولم يُشتبه بهم بفعل شيء – فقط لكونهم أقرباء فلسطينيين استهدفوا أو حاولوا استهداف إسرائيليين أو عناصر قوات الاحتلال. يصدر الحاكم العسكري الأوامر بهدم بيت خضر كنعاني وقطع أشجار الزيتون المثمرة أمام بيته، والتي كانت تشكل مصدر دخل للأسرة، ويؤكد الحاكم العسكري لسمر أنه أصدر قرار هدم البيت ليس انتقاماً، بل يجب إتخاذ إجراءات رادعه لإخضاع الفلسطينيين حتى لا يموت المزيد من اليهود. فإذا عرف كل فلسطيني أن كل نقطة دم تسفك من اليهودي سوف تدفع عائلته ثمنها فسيفكر مراراً قبل أن يفكر في مقاومة الاحتلال بقوله:

" לא. אין זו פעולת נקם.
אם לא ננקוט כעת ביד קשה
ימותו עוד הרבה.
אם ידע כל מרצח שעל כל טיפת דם יהודי שתישפך
ישלמו הוריו וילדיו–
יחשוב שנית לפני שלידיו ייטול אקדח"[٥٧].

[٥٦]المادة(١١٩) من أنظمة الطوارئ للحاكم العسكري تجيز " بمصادرة أى منزل أو بناء أو أرض إذا كان لديه سبب يدعوه للاشتباه بأن سلاحاً نارياً أطلق منه بصورة غير قانونية أو ألقيت منه أية قنبلة عادية أو قنبلة يدوية أو متفجرة أو مادة حارقة بصورة غير قانونية، ومصادرة أي منزل أو بناء أو أرض تقع في أية منطقة أو بلدة أو قرية أو حارة أو شارع، يقتنع الحاكم بأن سكانه أو بعض سكانه قد ارتكبوا أو حاولوا ارتكاب أي جرم ضد هذه الأنظمة أو حرصوا على ارتكابه، أو كانوا على علم بارتكابه، وكان الجرم ينطوي على عنف أو ترهيب أو أي جرم يُعاقب عليه أمام المحاكم العسكرية. وعند مصادرة أي منزل أو بناء أو أرض على النحو المذكور آنفاً، يجوز للحاكم العسكري تدمير المنزل أو البناء أو أي شئ مزروع على الأرض". תקנה 119 להגנות ההגנה לשעת חירום. הריסת בתים כעונשה. בְּצֶלֶם, מרכז המידע הישראלי לזכויות האדם בשטחים.2011/1/1.

http://www.btselem.org/Hebrew/Punitive_Demolitions/Regulation_119.asp.
مساءً ٢٠١٩/١٢/٢ الساعة الثامنة

[٥٧]גרינברג, תמיר. שם. עמ' 59.

" لا. ليست هذه عملية انتقام،
إذا لم نتأخذ إجراءات قاسية
فسوف يموت المزيد من الناس.
فإذا عرف كل قاتل أن كل نقطة دم تسفك من يهودي
سوف يدفع والداه وأبناؤه–
ثمنها فسيفكر مرتين قبل أن يحمل مسدساً".

توضح الفقرة السابقة أن سلطات الاحتلال لجأت إلى سياسة هدم منازل منفذي العمليات وتشريد أهلهم وذويهم، لردع الفلسطينيين الآخرين عن تنفيذ عمليات خوفاً على عائلاتهم من الأذية. "هذا الهدم يشكّل مساً بالأبرياء بهدف تحقيق غاية لا صلة لهم بها، ومعناه أن سلطات الاحتلال تتعامل معهم كوسائل وليس كأشخاص مستقلين لهم حقوق. ونجد في سِفر تثنية ("لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ")[٥٨]، وهكذا في ميثاق جنيف ("لا يعاقَب شخص محميّ على أمر لم يفعله شخصيًّا. العقابات الجماعيّة وجميع وسائل التهديد والإرهاب ممنوعة. النهب ممنوع. الردّ بالانتقام من أشخاص محميّين وممتلكاتهم ممنوع) ، أن سياسة هدم المنازل هي سياسة لا أخلاقيّة وغير قانونيّة وتتنافى مع جميع المواثيق والاتفاقيات الدولية، وانتهاك صارخ لحقوق الإنسان"[٥٩]. يعترض خضر كنعاني على صدور قرار هدم البيت بأن البيت ملكاً له، ومسجل باسمه، وليس باسم نجله، وهو ما عبر عنه خضر بقوله:

"חאדר ביתי רשום על שמי, לא על שם בני!
חליל היה אורח כאן!"[٦٠].

"خضر بيتي مسجل باسمي، ليس باسم خليل!
خليل كان ضيف هنا".

[٥٨] سفر التثنية(٢٤:١٦).

[٥٩] طلعت خيري. الإلة يهوه وبداية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، الحوار المتمدن، العدد ٦٠٢٢،١٣/١٠/٢٠١٨.أسترجعت في تاريخ ٣ فبراير ٢٠١٩ الساعة ٢١:١٥ من
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=614620&r=0

[٦٠] גרינברג, תמיר. שם. עמ' 43.

يؤكد بوعز أن القوانين واضحة ويجب هدم البيت الذي يسكنه القاتل بقوله:

בעז התקנות ברורות, מר כנעאני.

בית שרוצח התגורר בו–ייהרס"[٦١].

" بوعز القوانين واضحة، سيد كنعاني.

منزل الذي يعيش فيه قاتل سيهدم".

هدم المنازل هو إجراء إداري يطبق دون محاكمة ودون الحاجة إلى أدلة وذلك استنادًا إلى المادة ١١٩ من أنظمة الطوارئ. قد أمهلت قوات الاحتلال خضر كنعاني ست ساعات لإخلاء منزله وتنفيذ قرار الهدم، وهو وقت لا يكفي أبداً لإخراج أغراضهم، وهو ما أشار إليه الحوار الذي دار بين رونين وخضر بقوله:

"רונן מר חאדר כנעאני, עליכם לפנות מיד את הרכוש מתוך הבית. בפקודת כוחות הביטחון הבית ייהרס תוך שש שעות. תודה.

[מוסר לחאדר צו. פונה לצאת]"[٦٢].

" رونين سيد خضر كنعاني، يجب عليكم إخلاء ممتلكات فورا من البيت. بأمر من قوات الأمن سيتم هدم البيت خلال ست ساعات. شكراً.

[يسلم خضر الأمر ويتجة للخروج].

توضح الفقرة السابقة أن عملية الهدم تتم بعد ساعات فقط من حدوث مواجهة أو أعمال مقاومة، أي دون منح العائلة الفلسطينية فرصة إنقاذ ممتلكاتها من الخراب والتدمير، مما يزيد من المعاناة المعنوية والخسائر المادية التي يتعرض لها الفلسطينيون. لأن هذه العقوبة التي يفرضها الاحتلال تطال كل أفراد العائلة، ولا تقتصر على من يتهمه الاحتلال بالمقاومة.

---

[٦١] שם. עמ' 57.

[٦٢] שם. עמ' 43.

تحول منزل كنعاني بعد هدمه إلى خيمة مكونه من عدة ستائر من النيلون وهو ما عبر عنه الراوى بقوله:

" אוהל כנעאני, המורכב ממספר יריעות נילון "[٦٣].

"خيمة كنعاني، المكونة من عدد من ستائر النايلون".

يعكس مشهد الهدم والتشريد الذي تعيشه عائلة خضر كنعاني في الخليل واقع من تبقى من الفلسطينيين داخل الأحياء العربية في المدينة، حيث يقف خضر ونجله الأكبر مهدي المعاق ذهنياً وزوجة نجله رانيا عند أطلال منزل عائلته الذي هدمته سلطات الاحتلال بذريعة قتل خليل لنجل الحاكم العسكري يوتام. كم هو مؤلم أن ترى نفسك في العراء، تفترش الأرض، وتلتحف السماء، بلا مأوى إلا من خيام تقتلعها الرياح.

تكشف المسرحية أن سياسة هدم المنازل كعقوبة رادعة أثبتت فشلها، ولم تردع الفلسطينيين كما توقعت دولة الاحتلال، بل ترفع من درجات الحقد والكراهية ضد الاحتلال كونها عقوبة جماعية، أكد خليل لرانيا ضرورة الانتقام من اليهود كرد فعل على هدم البيت وتشريد عائلته بقوله:

" עכשיו אנו זקוקים לנקמה"[٦٤]. " الآن نحن بحاجة إلى الانتقام".

٤.قطع الأشجار

تكشف المسرحية عن قيام سلطات الاحتلال بقطع أشجار الزيتون ضمن سياسة العقاب الجماعي الممنهجة ضد الشعب الفلسطيني وذلك استناداً إلى ما ورد في العهد القديم في سفر الملوك الثاني"فَتَضْرِبُونَ كُلَّ مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ، وَكُلَّ مَدِينَةٍ مُخْتَارَةٍ، وَتَقْطَعُونَ كُلَّ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ، وَتَطُمُّونَ جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ، وَتُفْسِدُونَ كُلَّ حَقْلَةٍ جَيِّدَةٍ بِالْحِجَارَةِ"[٦٥]. فقد أكدت الأم الأرض لشجرة الزيتون الغاضبة قيام سلطات الاحتلال بقطع كل أشجار الزيتون ببستان خضر بقولها:

"אמא אדמה לא שיקרו לכם בניי. בעוד שעה קלה

[٦٣] שם. עמ'90.
[٦٤] שם. עמ' 49.
[٦٥] سفر الملوك الثاني(٣:١٩).

כולכם תהיו גזעים כרותים"[٦٦].

"الأم الأرض لم يكذبوا عليكم ياأبني. بعد قليل

ستصبحون كلكم جذوع مقطوعه".

وما الدفاع الفلسطيني عن أشجار الزيتون أمام الجرافات الإسرائيلية إلا دفاع عن الأرض والهوية والوطن. وهو ما عبرت عنه سمر برفضها قطع أشجار الزيتون وهدم البيت بقولها:

"הטל עלינו קנס כבד, השלך אותנו לבית סוהר,

אבל השאר את הזיתים ואת הבית במקומם"[٦٧].

" أفرض علينا غرامة كبيرة، ألقينا في السجن،

لكن أترك أشجار الزيتون والبيت في مكانهم".

اتخذ الأديب من أشجار الزيتون رمزا لأرض فلسطين، مستفيداً مما تمنحه رمزية شجرة الزيتون من إيحاءات تتمثل في الصمود والمقاومة والثبات، ومظهراً قيمة الوطن والأرض ومكانتهما في نفس الإنسان الفلسطيني–الصاحب الأصلي لهما– الذي ارتبط بوطنه منذ أقدم العصور. لا تنفصل قصة شجرة الزيتون عن قصة زارعها، فكأن الفلسطيني وشجرة الزيتون هذه صنوان، جذورهما مغروسة معاً في الأرض. ويهدف المحتل إلى إقتلاعهما معاً من الأرض. وهو ما عبر عنه الأديب بوقوف الأم الأرض ويوم ربيعي بين جثة سمر وأشجار الزيتون المقطوعه بقوله:

"אמא אדמה ויום אביב עומדים בין גופת סאמר לעצים הכרותים"[٦٨].

" تقف الأم الأرض ويوم ربيعي بين جثة سمر والأشجار المقطوعة".

تشير الفقرة السابقة إلى أن قلع أشجار الزيتون يحمل في طياته معاني رمزية، وينقل رسالة واضحة تُموضع الفلسطينيين– كما هو الشأن مع أشجارهم –في منطقة مستباحة ومفتوحة أمام سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

---

[٦٦] גרינברג, תמיר. שם. עמ'56.

[٦٧] שם. עמ' 58.

[٦٨] שם. עמ'60.

٥. انتهاك الحق في التنقل والحركة

أ.الحواجز العسكرية[٦٩]

كان للمكان ذكر واضح في المسرحية، ومن هذه الأماكن الحواجز العسكرية التي كانت وما تزال تذيق الفلسطينيين صنوفا من العذاب والقهر والاذلال. وتشكل هذه الحواجز عقابا جماعيا لأبناء الشعب الفلسطيني،كان الهدف من إقامة هذه الحواجز هو عزل المدن الفلسطينية عن بعضها البعض، تحويل حياة الفلسطينيين إلى معاناة يومية متواصلة، "بالضغط النفسي الرهيب المتولد من خلال إهدار الوقت بالانتظار، وأنجع أسلحة الضغط النفسي هو إهدار الوقت وأفضلها إعاقة الفرد بتلك الحواجز التي تستنفذ منه جل وقته فتعطل مجرى حياته وتعمل على تشويشها"[٧٠]، مما يؤدى إلى تحطيم نفسية المواطن الفلسطيني، ودفعه نحو اليأس والإحباط والتفكير بالرحيل وترك البلاد، و يعبر الجندي شموئيلي عن حالة اليأس والاحباط التي أصابت أبناء المجتمع الفلسطيني بسبب رتابة الحياة الصعبة لسكان مدينة الخليل الناتجة عن القيود التي يفرضها الجيش الإسرائيلي على حركة المواطنين بقوله:

"כל יום אותה שגרה, עבור.

גברים עלובים, נשים אומללות" [٧١].

" كل يوم الروتين نفسه، حول.

رجال تعساء، ونساء بائسات".

---

[٦٩] الحواجز العسكرية: هى عبارة عن حواجز اصطناعية من الكتل الإسمنتية الضخمة أو العوائق الحديدية التي تسد الطرق من الاتجاهين الذهاب والإياب، وتمنع السيارات والأفراد المشاة من المرور عبرها قبل الانتظار والتعرض للفحص والإهانة والاعتداء أحيانا من قبل جنود إسرائيليين مسلحين في أبراج المراقبة وخلف السواتر الإسمنتية والترابية على أهبة الاستعداد لإطلاق النار على كل سيارة أو فرد يحاول اجتياز الحاجز دون السماح له من قبل الجنود بذلك". حسنى عوض. الآثار النفسية والاجتماعية الناتجة عن الحواجز الاحتلالية الإسرائيلية لدي عينة من طلبة جامعة القدس المفتوحة المارين عبرها يومياً. جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ٢٠١٠، ص٨.أسترجعت في ٤مارس ٢٠١٩الساعة ٢٣:٣٦ من

http://www.qou.edu/home/sciResearch/researchersPages/hussniAwad/barriersOccupation.pdf

[٧٠]أحمد صبحى منصور. إلى متى تستمر إسرائيل في إذلال الفلسطينيين عند الحواجز الأمنية. الحوار المتمدن، العدد ٥٧١٠، ٢٠١٧/١١/٢٦.

أسترجعت في ٢٢ابريل ٢٠١٩الساعة ١٦:٤٥ من

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=580535&r=0

[٧١]תמיר גרינברג. שם. עמ' 29.

وصف الأديب معاناة أبناء الشعب الفلسطيني على الحواجز العسكرية وهم يتوسلون للجنود للسماح لهم بالعبور إلى الجانب الآخر من الحاجز. وهو ما عبر عنه الجندي شموئيلي الذي يخدم على الحاجز العسكري عند مدخل المدينة، ويمنع الفلسطينيين من العبور لأتفه الأسباب، فهو يتصرف طبقا لكتاب تعديلات قوانين الحكم العسكري بقوله:

"מתחננים לעבור מצד אחד של המחסום
לצד אחר, ואז אני אומר, עבור,
אני, טוראי שמואלי, חייל פשוט ונטול שיקול דעת,
קיבלתי הוראות והחוקים ברורים"[٧٢].

"يتوسلون للعبورمن جانب الحاجز
إلى الجانب الأخر، وعندئذ أقول،حول،
أنا، عريف شموئيلي، جندي بسيط وبلا رؤية،
تلقيت التعليمات والقوانين الواضحة".

توضح الفقرة السابقة أن الحواجز الإسرائيلية هي محطات لقهر وإذلال، ومعاناة يومية متواصله يعيشها الفلسطينيون الذين يضطرون للتنقل لقضاء حاجاتهم الضرورية سواء في الخليل أو خارجها بهدف إخضاعهم.

تهدف الحواجز العسكرية إلى منع تحرك وانتقال المقاومين الفلسطينيين من مكان لآخر. لقد لجأت إسرائيل إلى هذه الاساليب وشددت عليها في حالة وقوع عمليات فدائية أو وجود إنذارات ساخنة عن نية الفلسطينيين ارتكاب عمليات فدائية، وفي هذه الحالة كانت تلجأ إسرائيل إلى الإغلاق التام. وهو ما عبر عنه الجندي شموئيلي في حواره مع أحمد بقوله:

"אחמד — ולמה זה?
טוראי שמואלי — יש התרעות חמות לפיגועים.
אחמד — מתי?

[٧٢] שם. עמ' 29.

טוראי שמואלי מאז ומתמיד. זו השגרה.

חזור אל המקום ממנו באת"(٧٣).

أحمد ولماذا هذا؟

عريف شموئيلي توجد انذارات ساخنة عن هجمات إرهابية

أحمد متى؟

عريف شموئيلي دائماً وأبداً. هذا هو الروتين.

عد إلى المكان الذي أتيت منه".

كما هدفت أيضا إلى اعتقال مطلوبين لقوات الأمن الإسرائيلية أو قتلهم، وهو ما عبر عنه بوعز في حواره مع جندي شموئيلي بأمره بإطلاق النار على خليل إذا حاول الهروب عبر الحاجز بقوله:

"בעז עליך להיות דרוך. רוצח מסתובב חופשי.

אם ינסה לחמוק מכאן אל תהסס לירות"[٧٤].

"بوعز يجب أن تكون في حالة تأهب. (يوجد–الباحثة) قاتل يتجول بحرية.

إذا حاول الهروب من هنا فلا تتردد في إطلاق النار".

استطاعت سلطات الاحتلال الإسرائيلية أن تقطع أوصال الضفة الغربية بالحواجز العسكرية بذريعة الأمن ساعياً إلى الفصل بين القري والمدن أو بين المدن نفسها، وبالتالي أصبح المجتمع الفلسطيني مشرذماً ومقطع الأوصال، وقد خلق هذا الوضع اللا إنساني ظروفاً صعبه جداً أمام الشعب الفلسطيني. فحولت حياة الفلسطينيين إلى جحيم، جعلت كثيرًا من سكان الخليل مسجونين بداخلها، بدون أى إمكانية للخروج. وأصبحت الخليل سجناً كبيراً جميع مفاتيحه بأيدي الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما أشار إليه الجندي شموئيلي بقوله:

" ולכולם ידוע במפורש שכאן הגיהינום ושם הגיהינום, ולעבור, עבור"(٧٥).

" وللجميع معروف بوضوح أن هنا جهنم وهناك جهنم، والعبور، حول".

---

[٧٣] שם. עמ' 30.

[٧٤] שם. עמ'74.

[٧٥] שם. עמ' 30.

يهدف الجنود الإسرائيليون المتمركزون على الحواجز العسكرية عرقلة مرور المدنيين الفلسطينيين والحيلولة دون تمتعهم بحقهم في التنقل بحرية وسهولة بين مدنهم وقراهم. وهو ما عبر عنه الجندي شموئيلي في حديثه مع بوعز بتأكيده على أنه منذ شهور لم يعبر أحد الحاجز تنفيذاً للقوانيين الإسرائيلية قائلاً:

" שמואלי כבר חודשים שאיש אינו מצליח לעבור, המפקד. התקנות, עבור, ברורות "[٧٦].

" شموئيلي منذ شهور لم ينجح أحد في العبور ياسيدي. اللوائح، حول، واضحة".

أن الهدف من إقامة الحواجز العسكرية الإسرائيلية هو تضييق الخناق على الفلسطينيين وإجبارهم على الرحيل، تمهيدا للاستيلاء الكامل على الخليل وجعلها تحت السيطرة الإسرائيلية. كما إن سيطرة إسرائيل على الحواجز ترتبط بعامل السيطرة، وقوة الردع، وهو بذلك يحقق هدفا نفسيا على حياة المواطنين بشكل يومي يظهر فيه عجز الفلسطينيين، وقوة ورهبة الجنود الإسرائيليين، مما يوحي بعدم الاحساس بالأمن لدى الفلسطينيين. "ويلحق الضرر بسلسلة من الحقوق الأخرى، مثل حق الارتزاق، وحق التعليم، وحق تلقى العلاج الطبي"[٧٧].

١. حق الارتزاق (معاناة العمال الفلسطينيين)

لاتقف الآثار السلبية لإغلاق الحواجز العسكرية عند حدود الإهانة والإذلال، بل تتجاوزها لتحرم العمال من الوصول إلى أماكن عملهم، الأمر الذي ألحق أضراراً كبيرة بالاقتصاد الفلسطيني. كما تم إجبار الفلسطينيين على الحصول على تصاريح خاصة للتنقل، ولا يسمح بمرور المركبات الفلسطينية (البضائع والركاب) إلا من كان يحمل تصريح مرور من السلطات الإسرائيلية مما جعل مدينة الخليل سجناً كبيراً للفلسطينيين. وتكشف المسرحية عن معاناة العمال الفلسطينيين على الحواجز العسكرية، فقد قام الجندي شموئيلي

[٧٦] שם. עמ'74.

[٧٧] نجلاء رأفت سالم. الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الفلسطينيين. مرجع سابق. ص٣٢٦.

بمنع التاجر أحمد –صاحب شركة أحمد وموسى للأحجار المعاد تدويرها– الذي يرتكز عمله على انتظار هدم قوات الاحتلال لبيوت الفلسطينيين في الخليل، من أجل شراء حجارتها الأصلية وشحنها على عربته "وبيعها لليهود في القدس"[٧٨]، من المرور بالرغم من أنه يحمل تصريحاً من الاحتلال يسمح له بالعبور، وهو ما أشار إليه أحمد بقوله:

"אחמד [מציג לשמואלי] אישור.

טוראי שמואלי [אינו טורח להסתכל באישור] "[٧٩].

أحمد [يقدم لشموئيلي] تصريح.

عريف شموئيلي [لا يكلف نفسه عناء النظر في التصريح]".

تفرض سلطات الاحتلال على الفلسطينيين قوانين وإجراءات من حيث السماح أو عدم السماح بالمرور، وطريقة التفتيش والتدقيق، وهو ما عبر عنه الجندي شموئيلي في حواره مع أحمد بالتزامه بتنفيذ المادة ٧٦د مكرر من قانون الحكم العسكري التى تنص على أنه لا تعبر مركبة حاجز عسكري إلا إذا وجد طفل في المركبة بقوله:

"תקנה 76 ד' לחוק השלטון הצבאי קובעת:

לא יעבור כלי רכב מחסום צבאי

אלא אם נמצא ברכב ילד"[٨٠].

"تنص المادة ٧٦د مكرر من قانون الحكم العسكري على:

لن تعبر مركبة حاجز عسكري

إلا إذا وجد طفل في المركبة".

وعلى الحاجز العسكري يلتقي أحمد تاجر الحجارة والطفل الفلسطيني المشرد، ذو العشرة أعوام، الذي يؤجر نفسه لأي شخص يريد عبور الحاجز، فالقوانين تنص على وجود طفل في السيارة للسماح لها بعبور الحاجز العسكري. ويتفق مع أحمد على مساعدته في عبور الحاجز مقابل الحصول على شيكل إسرائيلي ويصعد إلى عربته. وهنا يصر الجندى شموئيلي على التحدي ومنع أحمد من المرور متخذاً من مادة ٤٢ ج مكرر من قانون الحكم

[٧٨] שוחט، ציפי. ההצגה שתצית אש، שם.

[٧٩] תמיר גרינברג. שם. עמ' 30.

[٨٠] תמיר גרינברג. שם. עמ' 30.

العسكري ذريعة لمنعه من المرور. بالرغم من أنه يحمل تصريحاً من الاحتلال يسمح له بالعبور ووجود طفل بالمركبة، وهو ما اكده الحوار الذي دار بين الجندي شموئيلي وأحمد بقوله:

" עצור. אין מעבר. חזור אל המקום ממנו באת.

אחמד ילד יש. אישור יש. למה אין מעבר?

תקנה ארבעים ושתיים ג'

לחוק השלטון הצבאי קובעת:

לא יעבור כלי רכב מקומי מחסום،

אלא אם כן בוצע בו חיפוש מדוקדק.

מה יש לך שם מאחור?"[٨١].

"توقف.ممنوع العبور. عد إلى المكان الذي أتيت منه.

أحمد يوجد طفل. يوجد تصريح.لماذا ممنوع العبور؟

مادة ٤٢ ج مكرر من قانون الحكم العسكري تنص على:

لا تعبر مركبة محلية حاجز،

إلا إذا تم تفتيشها بدقة.

ماذا يوجد لديك هناك في مؤخرة السيارة".

تصور المسرحية تنفيذ الجنود الإسرائيليين إجراءات تفتيش للمركبات لم يسبق لها مثيل، في محاولة لمنع العمال الفلسطينيين من عبور الحاجز. وهو ماعبر عنه الجندي شموئيلي بطلب حصول أحمد على تصريح من وزارة الصحة للسماح لمركبته المحملة بالأحجار للعبور بقوله:

"לא יעבור רכב מקומי עמוס סחורה מחסום

אלא אם כן הוא מצויד באישור משרד הבריאות"[82].

---

(٨١) שם. עמ' 31.

82 () שם. עמ' 32.

" لن تعبر مركبة محلية محملة بالبضاعة عبر الحاجز
إلا إذا كانت مزودة بتصريح وزارة الصحة".

تكشف المسرحية عن العديد من الإجراءات الاستفزازية التي تنهك العامل قبل أن يسمح له بعبور الحاجز.فقد حصل أحمد على التصاريح من وزارة الشئون الدينية ووزارة الإسكان ومدير البضائع تثبت أن أحجاره ليست مصابة بأمراض الحمى القلاعية، ولا فيرس جنون البقر أو حتى انفلونزا شرقية. كل شئ طبيعي وصحي، بالإضافة إلى تصريح خاص، مكتوب بيد الحاكم العسكري للمدينة وبالرغم من ذلك لم يسمح لمركبته بعبور الحاجز، وهو ما عبر عنه أحمد بقوله:

" אדוני המפקד, הנה האישורים כולם:
אישור ממשרד הבריאות ואישור ממשרד הדתות.
אישור ממשרד השיכון ואישור של מנהל הסחורות.
האבנים שלי, כתוב מפורש, אינן נגועות
במחלת הפה והטלפיים,
גם לא בווירוס הפרה המשוגעת
או בסתם שפעת מזרחית.
הכל תקין, הכל בריא, ובנוסף – [חגיגי]
אישור מיוחד, כתוב ביד המושל!"[٨٣].

" سيدي القائد، ها هي جميع التصاريح:
تصريح وزارة الصحة وتصريح وزارة الشئون الدينية.
تصريح وزارة الإسكان وتصريح مدير البضائع.
مكتوب بوضوح أحجاري ليست مصابة
بمرض الحمى القلاعية، وفيرس جنون البقر،
أو حتى انفلونزا شرقية.
كل شئ طبيعي وصحي، بالإضافة إلى –[مرح]

[٨٣] שם. עמ'71-72.

تصريح خاص، مكتوب بيد الحاكم!".

أكدت المسرحية التعسف في تنفيذ الإجراءات والقوانين من قبل جنود الاحتلال على الحواجز، بالإضافة إلى المعاملة المهينة. فقد منع الجندي شموئيلى أحمد من العبور خوفا من أن يكون حماره هو حصان طراودة بقوله:

"ראשית – נתחיל עם החמור.

ומה אם החמור הוא סוס טרויאני?

אחמד [משתולל מזעם]

זה סוס? זה סוס? ולמה לא תגיד ראש ממשלה?

חמור! בן של חמור ונכד של חמור! אתה עיוור?[٨٤].

"أولاً نبدأ بالحمار

وماذا لو كان الحمار هو حصان طروادة؟

أحمد [**إستشاط غضباً**]

هل هذا حصان؟ هل هذا حصان؟ ولماذا لا تقول رئيس وزراء؟

حمار! ابن حمار وحفيد حمار!هل أنت أعمى؟".

أكدت الفقرة السابقة أن جنود الاحتلال الإسرائيلي يتحكمون في فتح هذه الحواجز وإغلاقها تبعا لمزاجهم وحالتهم النفسية. فالقوانين تتعارض مع بعضها البعض ولا تسمح لأي شخص بالعبور، على الرغم من أن معظم الفلسطينيين لم يشكلوا تهديدًا.

كما أن ممارسات الجنود الإسرائيليين واستفزازاتهم المستمرة والمقصودة يضاعف من معاناة الفلسطينيين. ويمكن القول "أن إستمرار القهر يولد إنفجارا، وحين تتقارب المسافة بين المعاناة والموت يكون الموت مريحا، خصوصا إذا كان له مبرر. وهذا ما تتكفل به السياسة الاسرائيلية، تعطى الحجة لمن يريد القيام بعملية انتحارية، تدفعه بهذا الإذلال لكى يتخلص

[٨٤] שם. עמ' 73-74.

من حياته ومن أعدائه أيضا"[٨٥]. وينفس أحمد عن غضبه من قوات الاحتلال بطعن الجندي شموئيلي عدة طعنات بالسكين. وينزف حتى الموت بعد طعنه من أحمد، الذي ينزف هو الآخر حتى الموت بعد أن تلقى رصاصة من الجندي شموئيلي. وهوما عبر عنه الراوى بقوله:

"[תוך כדי דבריו נכנס אחמד, רכוב על עגלת החמור. מתנפל על שמואלי ודוקר אותו בסכין שוב ושוב]

אחמד הנה לך אישור משרד העבודה !

אישור משרד החקלאות!

אישור משרד התשתיות !

אישור משרד התיירות !

[שמואלי הפצוע אנושות מצליח לירות באחמד. אחמד מבט בתמיהה על כתם הדם המתפשט על חזהו. מרים את ראשו באיטיות, מתבונן תחילה על שמואלי הגוסס, ואז מרחיק מבטו אל העיר הרחוקה, הבוערת]"[٨٦].

"[وأثناء حديثه دخل أحمد، راكب على عربة الكارة. ينقض على شموئيلي ويطعنه بسكين عدة طعنات]

أحمد هذا لك تصريح وزارة العمل!

تصريح وزارة الزراعة!

تصريح وزارة البنية التحتية!

تصريح وزارة السياحة!

[تمكن شموئيلي المصاب إصابة خطيرة من إطلاق النار على أحمد. ينظر أحمد باستغراب على بقعة الدم المنتشرة على صدره. يرفع رأسه ببطء، ينظر أولاً إلى شموئيلي المحتضر، ثم ينظر بعيداً إلى المدينة البعيدة، المحترقة]".

[٨٥] أحمد صبحى منصور. إلى متى تستمر إسرائيل في إذلال الفلسطينيين عند الحواجز الأمنية. الحوار المتمدن، العدد٥٧١٠. ١١/٢٦/ ٢٠١٧. أسترجعت في ٢٠٢٠/٣/٢٧ الساعة ١٥:١٨ من

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=580535&r=0

[٨٦]תמיר גרינברג. שם. עמ'95.

٢. حق تلقى العلاج الطبي(معاناة المرضى الفلسطينيين)

لم يراع الجنود الإسرائيليون على الحواجز العسكرية الحالات الإنسانية كالولادة أو حالات المرض، ولم ينج الأطفال من هذه الممارسات القمعية. يصور الأديب إصرار الجندي شموئيلى على منع رانيا من عبور الحاجز متخذاً من المادة ٧٢ من قوانين الحكم العسكري ذريعة لمنع مواصلة طريقها إلى المشفى لإنقاذ حياة نجلها "نعيم" من الموت، حيث تنص المادة ٧٢ من قوانين الحكم العسكري على أنه لا يُسمح بعبور الحواجز للمرضي إلا إذا كان معه إحالة الطبيب إلى المشفي، تصريح المشفي المستلم، وتوقيع قائد منطقة، بقوله:

"אם לא יקבל מיד טיפול- ימות.

טוראי שמואלי תקנה שבעים ושתים לחוק הממשל הצבאי קובעת:

לא יעבור אדם לצורך קבלת טיפול רפואי
אלא אם כן הוא מצויד בהפניית רופא לבית חולים,
אישור בית חולים המקבל, וחתימת אלוף פיקוד"[٨٧].

"إذا لم يتلق العلاج فوراً- سوف يموت.

عريف شموئيلي تنص المادة ٧٢ من قانون الحكم العسكري على أنه:

"لا يعبر أي شخص لغرض تلقي العلاج الطبي
إلا إذا كان معه إحالة الطبيب إلى المشفي،
تصريح المشفي المستلم، وتوقيع قائد منطقة".

يرفض الجندي شموئيلي عبور رانيا الحاجز امتثالاً للأوامر بقوله:

"טוראי שמואלי לבי נשבר לראות תינוק גוסס, אבל להוראות יש לציית"[٨٨].

"عريف شموئيلي مُزق قلبى لرؤية رضيع يحتضر، لكن يجب الالتزام بالأوامر".

لا يتورع جنود الاحتلال عن إطلاق النار على أى فلسطيني لا يمتثل لتنفيذ الأوامر، وهو ما عبر عنه الجندي شموئيلي في تهديده بإطلاق النار على رانيا إذا لم تلتزم بتنفيذ أمره

[٨٧] שם. עמ'32.
[٨٨] שם. עמ'33.

بعدم عبور الحاجز بقوله:

"[רנייה מנסה לעבור בכוח]

טוראי שמואלי [דורך את נישקו]

אם אאלץ – לא אהסס לירות"[٨٩].

" [رانيا تحاول العبور بالقوة]

عريف شموئيلي [يتأهب بسلاحه]

إذا اضطررت إلى ذلك، فلن أتردد في إطلاق النار".

تجاهل الجندي شموئيلي صرخات الاستجداء التي أطلقتها رانيا للسماح لها بالعبور والذهاب إلى المستشفي لتلقي الخدمات الصحية اللازمة لإنقاذ حياة نعيم. وهو ما أشار إليه الحوار الذي دار بين رانيا وشموئيلي بقولها:

"[שמואלי עוצם את עיניו. סופר בקול. תוך כדי כך מנסה רנייה לעבור את המחסום]

טוראי שמואלי אחת, שתיים, שלוש – [פוקח את עיניו] עצרי!

צר לי. אינני מסוגל. להוראות עוצמה שלא שיערתי.

הן מעכריעות את רצוני הטוב.

לכי, אישה טובה, לכי הביתה"[٩٠].

[يغمض عينيه. يعد بصوت. خلال ذلك تحاول رانيا عبور الحاجز]

عريف شموئيلي واحد، اثنان، ثلاثة–[يفتح عينيه] توقفي!

آسف. لا استطيع. للأوامر قوة لم أكن أتخيلها.

أنها تقهر حسن نيتي.

اذهبى أيتها المرأة الطيبة، أذهبى إلى المنزل".

تتضاعف الآلام عندما تقف المرأة الفلسطينية عاجزة أمام وضع ترى فيه كل دقيقة تأخيراً عند الحاجز تشكل خطراً أكبر على حياة طفلها. وتوفي "نعيم" أو أستطيع القول قتل

[٨٩] שם. עמ'33.

[٩٠] שם. עמ'33.

بسبب إصرار الجندي شموئيلي على منع والدته من العبور للحصول على العلاج المناسب له. وهو ما أكده الجندي شموئيلي في حواره مع رانيا بقوله:

"טוראי שמואלי אם אינני טועה, אישה מסכנה,
התינוק שלך כבר מת"[٩١].

"عريف شموئيلي إذا لم أكن مخطئا، ايتها المرأة المسكينة،
رضيعك مات بالفعل".

أكدت المسرحية أن جنود الاحتلال يطبقون الإجراءات العنصرية في عرقله حركة المواطنين والاعتداء عليهم بشكل يومي، فالقيود الكثيرة والصعبة التي يفرضها الجيش الإسرائيلي على الحركة حولت حياة الفلسطينيين اليومية لمهمة بقاء مستمرة على قيد الحياة. وأصبحت هذه الحواجز وسيلة للإذلال والقمع والتعذيب لمختلف فئات الشعب الفلسطيني على حد سواء. فقد حولت إسرائيل سياسة القيود على الحركة إلى سياسة عقاب جماعي، محظورة فى القانون الإنساني الدولي.

٢.فرض حظر التجوال[٩٢]

يعد إجراء حظر التجوال من أكثر سياسات العقاب الجماعي التي مارستها سلطات الاحتلال على الفلسطينيين، "وكان يستمر لفترات طويلة، لخلق حالة من الإرهاب المستمر، وبالتالي تنعدم لدي الفلسطيني حالة الأمن والاستقرار، مما يؤدي إلى تغير في نمط معيشته وسلوكه اليومي المعتاد، فهو يشل من حركة السكان داخل المكان المطوق"[٩٣]. رداً على

[٩١] שם. עמ'34.

[٩٢] تمنح المادة (١٢٤)الحاكم العسكري صلاحية إعلان منع التجول شاملا أو جزئيا في قرية معينة أو منطقة معينة، ولمدد يراها مناسبة لفرض عقوبته. للمزيد انظر. صبري جريس. العرب في إسرائيل،منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، بيروت،١٩٦٧، ص ص٢٥-٢٦.

[٩٣] ناهض زقوت. انعكاس الإرهاب الصهيوني على الرواية الفلسطينية، إتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة، ٢٠٠١، ص٦٩.

تصاعد أحداث المقاومة في مدينة الخليل، يأمر ضابط رونين نائب بوعز بفرض حظر تجوال شامل لقمع أعمال المقاومة المتصاعدة بين الفلسطينيين في شوارع مدينة الخليل، من ثم أصبح حظر التجوال يفرض كعقوبة جماعية، عند كل تصعيد ميداني على الأرض. وهو ما أكده الحوار الذي دار بين بوعز ونائبه رونين بقوله:

" ההמונים היו רבים ונסערים. הטלתי עוצר על העיר"[٩٤].

"الجماهيركانت كثيرة وغاضبة. لقد فرضت حظر التجوال على المدينة".

استخدمت سلطات الاحتلال أوامر فرض حظر التجوال بهدف السيطرة على الأماكن التي تحدث فيها المظاهرات والصدامات العنيفة، وذلك لمنع استمرارها وانتشارها. ويصبح الفلسطينيون أسرى بيوتهم بسبب فرض الجيش الإسرائيلى حظر التجوال على المدينة. مما يؤدى إلى عودة الهدوء إليها. وهو ما أكده رونين بعودة الهدوء إلى الشوارع بعد فرض حظر التجوال قائلاً:

"כרגע הרחובות שקטים"[٩٥]. "الآن الشوارع هادئة".

عاشراً: معاناة الأطفال

أكدت المسرحية معاناة الطفل الفلسطيني من البؤس والتشرد. وكانت شخصية الطفل المستأجر هي الصوت المعبر عن معاناة أطفال فلسطين الدامية في ظل احتلال جاثم، فهذا الطفل الفلسطيني المشرد، البالغ من العمر عشرة أعوام، يؤجر نفسه لأى سيارة فلسطينية تريد عبور الحاجز مقابل شيكل إسرائيلي، لإعالة نفسه مدعياً إعالة أسرته، فالمادة ٧٦د مكرر من قانون الحكم العسكري تنص على وجود طفل في السيارة للسماح لها بعبور الحاجز، وهو ما أشار إليه الطفل المستأجر بقوله:

"ילד להשכיר! ילד להשכיר!

אדוני, אני עולה איתך לעגלה,

אחמד [בחשדנות]

והמחיר?

---

[٩٤] תמיר גרינברג. שם. עמ'65.

[٩٥] שם. עמ'65.

ילד רק שקל. אדוני,

כדי לסייע קצת בפרנסת המשפחה"(٩٦).

" طفل للإيجار! طفل للإيجار!

سيدي، سأركب معك في العربة،

أحمد [بسوء ظن]

والسعر؟

طفل فقط شيكل. ياسيدي،

للمساعدة قليلاً في إعالة الأسرة".

إن الفقر والحاجة لتأمين لقمة العيش هو السبب الرئيس لعمالة الأطفال. والطفل المستأجر هو رمز للبراءة المفقودة، ورمزاً للمآسي التي يعيشها الأطفال تحت الاحتلال الإسرائيلي، فهذا الطفل دون جذور، إذ لا عائلة له، ولا نعرف ماذا حدث لها. فهو يقيم على الحاجز العسكري، في محاولة لكسب رزقه وإعالة نفسه، وهو ما أكده الحوار الذي دار بينه وبين الجندي شموئيلي بقوله:

"טוראי שמואלי אין בית? [הילד מושך בכתפיו]

ואבא גם אין? אולי אמא?

[הילד מושך בכתפיו]

אמרת שאתה עובד, עבור,

כדי לסייע קצת לפרנסת המשפחה.

ילד [מורה על עצמו]

כאן כל המשפחה "(٩٧).

"عريف شموئيلي لا يوجد بيت؟[يهز الطفل كتفيه]

ولا أب أيضا؟ ربما أم؟

(٩٦)تمير גרינברג. שם. עמ'30.

(٩٧)שם. עמ'71-70.

[يهز الطفل كتفيه]

قلت أنك تعمل، حول,

للمساعدة قليلاً في إعالة الأسرة.

طفل [يشير إلى نفسه]

هنا كل الأسرة".

إن الحياة القاسية والطفولة البائسة التي يعيشها الطفل الفلسطيني في ظل الاحتلال من هدم المنازل وفقد الآباء. فقد حرم الطفل من الأحلام، من الأب، من الأم، فعاش يتيماً مشرداً. فالأطفال الفلسطينيون يعيشون واقعاً أليماً، حرمهم من أن يعيشوا طفولتهم البريئة. كما حرمهم من حقهم في التعليم، فالطفل المستأجر هو طفل ذكي، استطاع أن يكسب تعاطف الجندي شموئيلي، ويجعله يعترف بمعاناة الطفل الفلسطيني وأنه لا يعيش مرحلة الطفولة التي يعيشها الأطفال الآخرون في منزلهم ينعمون بأجواء طبيعية وسط أسرهم بعد ما علم أنه بلا بيت يذهب إليه وبلا عائلة ينام وسطها ولكنه لم يذكر من تسبب بالكارثة لهذا الطفل ولأسرته، وهو ما عبر عنه الجندي شموئيلي بقوله:

"טוראי שמואלי ילד בגילך, עבור, צריך עכשיו לסגור את המחברת,

לנשק לאמא לילה טוב, ללבוש פיג'מה לישון,עבור"[٩٨].

"عريف شموئيلي ولد في عمرك، يجب الآن أن يطوى دفتر،

يقبل والدته ويقول لها تصبحين على خير، يرتدى بيجامة يذهب للنوم، حول".

لقد جسد الطفل المستأجر المأساة التي يعيشها شعب بأكمله تحت الاحتلال. فبسبب الاحتلال وممارساته القمعية وإغلاق المدن وحصارها، وقتل الآلاف من الفلسطينيين واعتقال آخرين انخراط أعداد كبيرة من الأطفال في العمل نتيجة الأوضاع المعيشية الصعبة.

الحادي عشر: أهمية البيت

يمكن القول أن المكان ظهر بصورة مكتملة في هذه المسرحية. ربما يعود السبب في ذلك إلى الصراع القائم على هذا المكان. ففي هذه المسرحية نجد المكان المقصود هو

[٩٨] שם. עמ'71.

فلسطين سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فالإنسان " يسعى دائما إلى الارتباط بالمكان والاستقرار فيه، ومن ثم الإنتماء إليه وتأصيل هويته، لذا يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى مرآة ترى فيها "الأنا" صورتها، فاختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءاً من بناء الشخصية البشرية"[٩٩]. كما أن المكان يرتبط مع الشخصيات بعلاقات متينة، "فهو لا قيمة له إذا لم يحفل بشخصياته التي تمنحه المعني، وتسهم في إغنائه بالدلالات من خلال العلاقات المختلفة التي قد تدخل فيها هذه الشخصيات مع المكان كعلاقات التنافر أو الحياد أو الانتماء"[١٠٠]. يتسم البعد الرمزي للبيت في صورته الأولية المباشرة بقدرته على إحالتنا إلى حالة الألفة والحميمية التي تتشكل بواسطة فعل الإقامة والاستقرار داخله, فالمنزل يعنى التملك والاستقرار. فهدم المنازل، هو اعتداء على المرأة الفلسطينية في عقر دارها، ومصادرة لأحلامها، وتجريدها من واقعها، ومن بيتها الآمن المستقر الذي تعشش فيه على صغارها، وتسهر على راحة زوجها، وتعود سمر بذكرياتها لذلك البيت الجميل فتتذكر حفل زفافها وأحلى أيام قضتها في هذا البيت بقولها:

" כאן, בחצר הקטנטנה בזו,
חגגנו, חאדר ואני, את מסיבת החתונה שלנו.
כמה יפה היה היום ההוא! כל נכבדי העם היו!
דודי, נביל, הגיע מעמאן במיוחד! אתה זוכר, חאדר?

חאדר ואיך אשכח, כבוד המושל? ביום ההוא כרתנו ברית.
לו רק ידעת כמה התרגשתי... לו רק ידעת עד כמה
ציפיתי ופחדתי ממתיקות הלילה הראשון...

[עץ זית חרד נכרת]

סמאר כאן, מימין, כבוד המושל,
הייתה בימה קטנה, עם נגנים, ושם השולחנות...

[٩٩]مصطفى الضبع. استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة،١٩٩٨ . ص٦٦.

[١٠٠]حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن، الشخصية، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،١٩٩٠،ص٣٣.

הלב היה כל כך גדוש
עד שכמעט ולא נותר מקום לרקוד!
מיטב ימינו כבר מאחורנו. איך נתחיל מבראשית? "[١٠١].

" هنا، في هذا الفناء الصغير،
احتفلنا خضر وأنا بحفل زفافنا.
كم كان جميلاً هذا اليوم! حضرت كل الشخصيات العامة!
جاء عمي نبيل من عمان مخصوص!هل تتذكر ياخضر؟

خضر وكيف أنسى سيادة الحاكم؟ في ذلك اليوم قطعنا عهداً.
لو عرفت فقط كم تأثرت... لو عرفت فقط كم
انتظرت وكنت خائفا من حلاوة الليلة الأولى...

[قطعت شجرة الزيتون الخائفة]

سمر هنا على اليمين حضرة الحاكم،
كان مسرحاً صغيراً، مع الموسيقين، وهناك الطاولات...
كان الوسط ممتلئاً حتى أنه لم يكن هناك مكان للرقص!
أفضل أيامنا وراءنا بالفعل! كيف نبدأ من البداية؟".

أنه أمراً إنسانياً طبيعياً حين يضيق الحاضر بالإنسان يسري عن نفسه باستذكار الماضي الجميل لينسى به ألمه من ناحية ويجعله شاحذاً لهمته في الصمود من جهة أخرى. والكاتب يريد من المتلقي أن يرى عمق المكان وليس سطحه، فمنزل خضر كنعاني يمثل عنصراً رمزياً لكل بيوت فلسطين، فقد استخدم هذا البيت كبنية رمزية عن كل البيوت، والمتلقي هنا يقارن بين منزل خضر كنعاني والبيوت الأخرى غير الموصوفة، ولكنها مطروحة على الوعي، فإذا كان خليل وزوجته رانيا يمثلان جيل الأبناء(الشباب) الفلسطيني فهما مناضلان وطنيان يرفضان الاحتلال فهناك أمثالاً لهما كثيرون. والدا خليل يمثلا جيل النكبة الجيل المهزوم في المسرحية، الذي شهد الهزيمة، وصدرت أرضه وخسر وطنه لصالح إقامة إسرائيل. فقد بدا والده خضر كنعاني منكسراً، وضعيفاً وذليلاً وفاقد الأمل في كل شئ،

[١٠١]גרינברג, תמיר. שם. עמ' 58.

ويعاني من الفقر والمشاكل بسبب الإجراءات التعسفية بحقه من قبل الحاكم العسكري فهناك أمثالاً له كثيرون أيضا بين فلسطينيين.

تدافع سمر عن البيت وتطلب من الحاكم العسكري أن يفرض عليهم غرامة كبيرة، أو أن يسجنهم مقابل عدم قطع أشجار الزيتون وهدم المنزل قائلاً:

"הטל עלינו קנס כבד, השלך אותנו לבית סוהר, אבל השאר את הזיתים ואת הבית במקומם"[١٠٢].

" افرض علينا غرامة كبيرة، ألقنا في السجن، لكن اترك أشجار الزيتون والبيت في مكانهما".

إن سياسة هدم المنازل تهدف إلى زعزعة استقرار وأمن الأسرة الفلسطينية، بل القضاء عليها نهائياً قاصدة من طرف خفى المرأة نواة هذا المنزل، فلو ارادت الرجال لقتلتهم وسجنتهم. قد ظهرت والدة خليل "سمر" في المسرحية كشخصية مستسلمة لقدرها، وراضية بوضعها المأساوي. ولكنها تتحول فجأة إلى المقاومة وتقرر طعن الحاكم العسكري بالسكين في محاولة لمنعه من هدم منزل العائلة وقطع أشجاز الزيتون من أمامه وهو ما أشار إليه الراوى بقول:

"שולפת מבין קפלי שמלתה סכין ומתנפלת על בעז. בעז יורה בה. סמאר נופלת מתה(١٠٣).

"إستلت من بين ثنايا فستانها سكينا وانقضت على بوعز. يطلق بوعز عليها النار. تقع سمر ميتةً".

تشير الفقرة السابقة إلى أن سياسة التضييق التي تمارسها قوات الاحتلال ضد الفلسطينيين تؤدى إلى تحويل الشخصية القانعة المستسلمة إلى شخصية مقاومة. فالمرأة الفلسطينية قاتلت وناضلت للحفاظ على شمل الاسرة وعدم هدم البيت وقطع أشجار الزيتون من أمامه، ودفعت حياتها ثمن ذلك.

الثاني عشر: التغاضى عن جرائم الصهينة بحق الفلسطينيين

[١٠٢] שם. עמ' 58.
[١٠٣] שם. עמ' 59.

تتطرق المسرحية إلى أن سلطات الاحتلال تمارس سياسة العقاب الجماعي بحق الفلسطينيين، فيما تغمض أعينها عن جرائم الصهينة المغتصبين، وهو ما أكده خضر بعدم اتخاذ إجراء رادعاً بحق إليئاف نجل الحاكم العسكري الذي قتل حفيده عمداً، مما يضاعف من معاناة الفلسطينيين، في حواره مع مساعد الحاكم العسكري الضابط "رونين" بقوله:

"חאדר [מציג את רנייה]

והיא? נכדי נרצח אתמול בידי בן המושל!

דם נעים סמיך פחות מדם ילדו של המושל?

גם היא איננה מוכנה לקבור את בנה!"(١٠٤).

"خضر [يقدم رانيا]

وهي؟ قُتل حفيدي أمس بيدي نجل الحاكم!

دم نعيم أقل كثافة من دم طفل الحاكم؟

هي أيضا غير مستعدة لدفن ابنها!".

يبرر الحاكم العسكري قتل نجله لنعيم "بأنه مجرد خطأ غير متعمد"(١٠٥). تطالب سمر بالمساواة وهدم بيت من قتل حفيدها إذا هدمت قوات الاحتلال بيتها في حوارها مع مساعد الحاكم العسكري الضابط "رونين" بقولها:

"סמאר אם ביתנו ייהרס – אני דורשת להרוס

גם את ביתו של זה שאת נעים רצח!"(١٠٦).

"سمر إذا تم هدم منزلنا – أطلب بهدم

أيضا منزل من قتل نعيم".

تؤكد سمر أن معاناة عائلتها لم تتوقف عند هدم منزلها، فقد قتل حفيدها الوحيد نعيم، وتعرض نجلها الأكبر المعاق ذهنياً للتعذيب من قبل قوات الاحتلال، وخليل متوقع أن يعتقل مدى الحياة، وتتسائل ألم تدفع عائلتها الثمن غالياً. فقد تشردت عائلتها وأصبحت بلا مأوى

(١٠٤)שם. עמ'43 -44.
(١٠٥)שם. עמ' 58.
(١٠٦)0 שם. עמ' 44.

ولا مصدر للدخل، وذلك في حوارها مع الحاكم العسكري بقولها:

"נכדנו נהרג בידי בנך. בננו החולה עונה,

והבכור צפוי להיעצר עד סוף ימיו,

למרות שלא פשע. לא שילמנו די?

לאן נלך? איפה נמצא קורת גג? ומה נאכל?"(١٠٧).

"ابنك قتل حفيدنا. ابننا المريض تعرض للتعذيب،

والكبير متوقع أن يعتقل مدى الحياة،

على الرغم من أنها ليست جريمة. ألم ندفع بما فيه الكفاية ؟

إلى أين سنذهب؟ أين سنجد مأوى وماذا سنأكل؟".

تظهر الفقرة السابقة أن الهدم يعتبر سياسة رئيسية لإقتلاع الفلسطينيين من جذورهم في الأرض وتفريغهم منها واجبارهم على الرحيل.

الثالث عشر: المقاومة

"منذ اليوم الأول لدخول المستوطنين اليهود مدينة الخليل، ولدت المقاومة الفلسطينية الرافضة لهذا التواجد الصهيوني، خاصة أن سكان مدينة الخليل لهم تجربة مع اليهود الذين سكنوا مدينة الخليل منذ القرن السادس عشر الميلادي، الذين قتل عدد منهم عام ١٩٢٩ أثناء أحداث البراق بسبب مشاركتهم في هذه الأحداث، وأخرجوا من الخليل نهائياً عام ١٩٣٦ على يد حكومة الانتداب البريطاني"(١٠٨). يحدد خليل موقفه واتجاهه الرافض للاحتلال والاستكانة له، ويحمل سلاحه المقاوم ضد من أهان والده، وصادر أرضه، ومنعه من دخول بستانه لجنى ثماره، فقد عرف خليل أن تحرير الوطن لا يمر الا عبر القتل والمقاومة فهو شعب يؤمن بأن ما أخذ بالقوة لا ترده إلا القوة ولا يخفى خليل هذا الإحساس بعد قتل يوتام يشعر أنه حرر نفسه، وهو ما عبر عنه خليل بقوله:

"הגוף הזה הוא רק משל, אבא.

---

(١٠٧)שם. עמ' 57.

(١٠٨)عرفات حجازى . مدينة خليل الرحمن والتحدي الصهيوني. ص٢٠.

ביום הזה שחררתי את נפשי"(١٠٩).

"هذا الجسد هو نموذج فقط، ياوالدي.

في هذا اليوم حررت نفسي".

١.المقاومة والمرأة الفلسطينية

لقد"شاركت النساء الفلسطينيات تاريخياً في مختلف مراحل حركة التحرير الفلسطينية؛ وشهدت السنوات مابين 1967 و 1972 ذروة الكفاح المسلح، وشاركت النساء في العمليات المسلحة، وسُجنت الكثيرات منهن بسبب أنشطة مناهضة للاحتلال"(١١٠). لقد برز دور المرأة الثوري والنضالي بشكل لافت، فقد اندفعت إلى ميدان المواجهة دفاعاً عن الابن والزوج والذات. إن سمر والدة خليل التي تمثل جيل النكبةلم تر المقاومة إرهاباً، بل حق شرعي للفلسطيني في أرضه. وهو ما عبرت عنه سمر في حوارها مع بوعز بقولها:

"הבכור צפוי להיעצר עד סוף ימיו, למרות שלא פשע.לא שילמנו די? "(١١١).

"الكبير متوقع أن يعتقل مدى الحياة على الرغم من أنها ليست جريمة. ألم ندفع بما فيه الكفاية ؟".

ظهرت والدة خليل "سمر" في المسرحية كشخصية مستسلمة لقدرها، وراضية بوضعها المأساوي. ولكن فجأة تظهر شخصيتها النقيضة وتتحول إلى المقاومة وتقرر طعن الحاكم العسكري بالسكين في محاولة لمنعه من هدم منزل العائلة وقطع أشجار الزيتون من أمامه وهو ما أشار إليه الراوى بقول:

"[שולפת מבין קפלי שמלתה סכין ומתנפלת על בעז. בעז יורה בה. סמאר נופלת מתה]"(١١٢).

"[إستلت من بين ثنايا فستانها سكينا وأنقضت (هاجمت)على بوعز. يطلق بوعز

---

١٠٩)גרינברג, תמיר. שם. עמ' 22.

(110)Kazi, Hamida . "Palestinian women and the national liberation movement: a social perspective", libcom.org.13/11/2013. Retrieved January 12, ٢٠٢٠ from https://libcom.org/library/palestinian-women-national-liberation-movement-social-perspective-hamida-kazi

(١١١)גרינברג, תמיר. שם. עמ' 57.

١١٢) שם. עמ' 59.

عليها النار. تقع سمر ميتة]".

شاركت المرأة الفلسطينية الرجل في مقاومة الاحتلال، وأخذت تقدم نفسها كما يفعل الرجل، فليس النضال حكراً على الرجال، وإنما التضحية في سبيل الوطن كانت أسمى معانيها، فهي تنطلق حيثما وجدوا، وتسطر في التاريخ صفحات ناصعة بيضاء من التضحية والفداء. ونرى ذلك بوضوح في قرار رانيا بعدم دفن نعيم والذي حول رانيا لرمز للمقاومة والنضال أفضل من استخدام السلاح وهو ما عبر عنه خليل بقوله:

" חליל לך יש תפקיד חשוב יותר. החלטתך האמיצה שלא לקבור את בננו הפכה אותך לסמל שיקדם את חירותנו טוב יותר מכל רובה"(١١٣).

" خليل لكِ دور أكثر أهمية. قرارك الشجاع بعدم دفن ابننا جعلكِ رمزاً الذي سيعجل من حريتنا أفضل من أى بندقية".

يحث خليل رانيا على أن تدعو إخوته وأبناء شعبه ليقاوموا عدوهم، ويدفعوا عن منزل والده، فالأوطان لا تحرر إلا بسواعد أبنائها، كما نرى إصراره واضحاً في دعوته، وفي قراره بالمواجهة مهما كانت الظروف، وهو ما أكده خليل بقوله:

"חליל צאי אל הרחובות כשגופת ילדנו בידייך, רנייה. קראי להמונים.
אספי אותם מן הבתים, מן השווקים, מחנויות.
קראי להם לבוא מבתי ספר, מסגדים. ומרפאות,
בשם אבי, שעל כולם אהוב ונערץ, יגנו על הבית.
ואת אל תפחדי. לכי באמונה בראש העם
כשגופת בנך הקדוש מונפת לשמים"(١١٤).

(١١٣) שם. עמ'48.
(١١٤) שם. עמ' 49.

"خليل اخرجى إلى الشوارع (احملى- الباحثة) جسد طفلنا بين يديكِ يارانيا.
نادي على الجماهير.
أجمعيهم من البيوت، من الأسواق، من المتأجر.
نادي عليهم ليأتوا من المدارس والمساجد. والعيادات،
باسم والدي، محبوب ومبجل من الجميع، سوف يدافعون عن البيت.
ولا تخافِى .سيري بإيمان في مقدمة الشعب
عندما (يكون الباحثة) جثمان نجلك الشهيد مرفوع إلى االسماء".

قد ساهم وجود الاستعمار الصهيوني في مدينة الخليل في تأجيج روح المقاومة لدى سكانها فممارسات سلطات الاحتلال اليومية ضد سكان الخليل من قتل الأطفال والنساء وهدم المنازل، تذكرهم باستمرار الاحتلال، وتؤجج لديهم روح المقاومة باستمرار. وهو ما عبرت عنه رانيا في خطابها لسكان الخليل بقولها:

"רנייה הקשיבו לי, תושבי חברון האומללים!
[ההמון משתתק]
כאן חמותי מוטלת. סאמר כנעאני, הטובה שבנשים,
ובידיי-נעים!
אומרים שבני קדוש. אומרים שגם אני קדושה.
אמרו אתם- איזו קדושה כבר יש בילד מת,
בבית שנחרב?
אני אשה פשוטה, תושבי חברון, אבל לשתוק-
איננני יכולה!
נשים, ילדים ותינוקות נטבחים יום יום,
אך אנו לא נבכה! לנו אין פנאי להתאבל!"[١١٥].

"رانيا اصغوا إلى، ياسكان الخليل البائسين!

[١١٥] שם. עמ'61.

[الجماهير صامتة]

هنا ترقد حماتي،سمر كنعاني، أفضل النساء،
وأحمل بين يدي نعيم!
يقولون إن ابني شهيد. يقولون أيضا إنني قديسه.
قولوا أنتم– أى قداسة في طفل ميت،
في بيت هُدم؟
أنا امرأة بسيطة ياسكان الخليل، لكن لا يمكننى الصمت–
يتم ذبح النساء والأطفال والرضع يومياً،
لكننا لن نبكى!ليس لدينا وقت للحزن!".

يؤكد الكاتب على أن المواجهة مع المحتل الإسرائيلي تحتاج إلى ابتكار وسائل مقاومة، ،إذ " ليس لدى الفلسطينيين سوى خيار البقاء على الأرض والاستمرار في النضال بأقصى ماتتيحه لهم قدراتهم، بينما يعمل الإسرائيليون على إخراجهم من تلك الأرض"[١١٦].كذلك فإن السلاح ليس وحده أداة مقاومة، قد لا يتوافر للفلسطينيين. لذلك فقد اتخذ كل سكان الخليل قرار جماعي بعدم دفن قتلاهم وهذا هو السلاح المتاح أمام الفلسطينيين، وقد وضعه الكاتب حلا لمشكلة نقص السلاح أو غيابه عند الفلسطينيين. وهو ما عبرت عنه رانيا بقولها:

"בנשק לא נגמור על המושל,
כי לו יש טנקים ומטוסים,
אך במתים – אנו עולים עליו!
על כל מת משלו– יש לנו חמישה!
עשו כמותי, תושבי חברון היקרים!
לא עוד נסתיר באדמה את הכאב!"[١١٧].

لن ننتصر بالأسلحة على الحاكم،

[١١٦] إدوارد سعيد. الثقافة والمقاومة. حاوره ديفيد بارساميان، ترجمة علاء الدين أبو زينة، دار الآداب، بيروت ،٢٠٠٦، ص٧٣.
[١١٧]גרינברג, תמיר. שם. עמ'61.

لأنه يمتلك الدبابات والطائرات،

لكن بعدد القتلي–نتفوق عليه!

مقابل كل قتيل من عنده– يوجد خمسة من عندنا!

افعلوا كما فعلت ياسكان الخليل الأعزاء!

لن نخفي الألم في الأرض!".

لقد مثل هذا الموقف مرحلة مهمة في فكر الشخصية المقاومة بتوظيف الظروف المتاحة لها، فتصبح قادرة على قراءة واقعها بصورة صحيحة، فالنظر إلى المقاومة بأدوات أخرى غير السلاح يؤكد أن العمل النضالي متاح للجميع، ولا تستأثر به فئة أو نخبة، واللجوء إليها سيعوض غياب السلاح الذي يفتقده الكثيرون، أضف إلى أن تمسك الشخصية المقاومة بأرضها وبجذورها يبقى الأسلوب الذي يخشاه العدو ويفشل في منعه.لذلك يمكن القول أن "الانتفاضة فتحت جبهة ثالثة في وجه إسرائيل هي جبهة المحاربة المنتظمة وجبهة حرب الجماهير"(١١٨).

وبعد هذه الخطاب، كان قرار سكان الخليل، أن نزلوا جميعا دفعة واحدة إلى شوارع المدينة، كسروا حاجز خوفهم وهتفوا جميعاً، وهم يحملون جثث القتلي:الموت للاحتلال! الموت للحاكم، وهو ما عبر عنه الكاتب بقوله:

[נכנס המון פלשתינאי נסער, נושא איתו גופות ההרוגים]

המון מוות לכבוש! מוות למושל!"(١١٩).

[دخل جمهور فلسطيني غاضب، يحمل جثث القتلي]

الجمهور الموت للاحتلال! الموت للحاكم!".

يكشف جرينبرج عناد الشعب الفلسطيني وإصراره على المقاومة، لا يساوم على حقه، ولا يلتفت إلى حجم التضحيات التى قدمها في سبيل الوطن، ووجهت إسرائيل هذه المظاهر بعنف ووحشية، فقد قتل فلسطينيان وأصيب سبعه في مواجهات مع القوات الإسرائيلية أمام

(١١٨)שיף, זאב. יערי, אהוד.האינתפאדה, תל-אביב,שוקן,1990.עמ'331.

(١١٩)גרינברג, תמיר. שם. עמ'61.

منزل حضر، وهو ما أكده رونين بقوله:

"רונן המפקד, פינינו את הערבים.
שני הרוגים, שבעה פצועים.
אין נפגעים לכוחותינו"(١٢٠).

" رونين القائد، أخلينا العرب.
قتيلان وسبعة جرجى.
لا توجد خسائر في قواتنا".

جاءت المظاهرات والاشتباكات مع قوات الاحتلال، لتمثل تحديا للاحتلال وإجراءاته التعسفية والقمعية ضد الفلسطينيين، ومالبث أن تحول الصدام بين الطرفين إلى معركة حقيقية، وكان من نتائجها مقتل أم وثلاثة من أطفالها حرقاً، وهو ما عبر عنه رونين بقوله:

" רונן המפקד, המון מוסת פרץ לבית משפחת לוי.
האם ושלושת ילדיה נשרפו חיים"(١٢١).

" رونين القائد، اقتحم الجمهور الثائر منزل عائلة ليفى.
الأم وأطفالها الثلاثة ماتوا حرقاً وهم أحياء".

إن التهديد الذي طرحته المقاومة يشكل خطرا على وجود السيادة اليهودية، "فلم يعد الفلسطيني خائفاً مستسلماً بل أصبح يشكل عنصراً مقاوماً وناداً لابد من الاعتداد به وبقوته رغم كونه أعزلاً من السلاح بالمقارنة بآلة الحرب الإسرائيلية، وهذه صرخة غير مشكوك في صدقها"(١٢٢)،وهو ما عبر عن الحاخام يوئيل بقوله:

" בעז מוסדות הארץ רועדות!"(١٢٣).

"بوعز إن أركان الدولة تهتز".

إن العدو لا يستطيع أن يثبت له قدماً في أرض يقاوم أهلها. فالمقاومة عنوان التمسك

(١٢٠)שם. עמ'59-60.
(١٢١)שם. עמ'64.
(١٢٢)אורן, יוסף. מגמות בספרות הישראלית, יחד, ישראל,1990,עמ'95.
(١٢٣)גרינברג, תמיר. שם. עמ'88.

بالأرض. وبالتالي نجحت المقاومة في تحييد هذه القوة العسكرية وشل فعاليتها.

٢.التلاحم والتأخي بين الشخصيات المناضلة

طالما كانت الشخصيات المناضلة تلتقي على هدف واحد، فمن الطبيعي أن تعيش في علاقاتها مناخا من الإيجابية يترجم التلاحم والتوافق بينها، وهو ما عبر عنه خليل في حواره مع إليئاف الذي جاء لقتله في ساحة المنزل حدثت فيه مواجهة عنيفة بين الجيش الإسرائيلي والمقاومين بقوله:

" הביט סביבך, חלאה. כל השוכבים כאן
הם כולם אחי. בגופם הגנו על חיי"[١٢٤].

" انظر حولك ياحثالة. كل الراقدين هنا

هم كلهم إخوة لى، لقد دافعوا عن حياتي بأجسادهم".

لقد مارست الشخصية المناضلة نضالها تحت مظلة اجتماعية، فهي لم تنعزل عن مجتمعها، بل كانت نتاجاً صادقاً له، وظلت الشخصيات المناضلة متعاونة متحابة، أقرب إلى المثالية في سلوكها وعلاقاتها وهذه الصورة تؤكد أن" المناضل لايعيش أبدًا في عزلة، وإنه يكون دائمًا بحاجة إلى الآخرين، كما أن الآخرين يسرعون بالالتفاف حوله، ويوسعونه بالعناية والاعتبار"[١٢٥]. وتعيش الشخصية المناضلة حالة من الانسجام مع نظيرتها، فنهلهما من نبع ثقافي مشترك قرب المسافات بينهما، وقد مثل خليل مع ناجي عبايات هذا الانسجام عندما دافع عنه وقتل في مواجهة مع قوات الإسرائيلية، يتذكر خليل صديق طفولته ورفيق دراسته ناجي عبايات، ويؤكد لاليئاف هذا الانسجام بقوله:

"הבט ימינה שם המת ללא פני. זה נאג'י עבאית.
טבול בדמו את כף ידך.

[אליאב מתכווץ]

חליל יחד ברחנו מהלימודים כדי לשחק בכדורגל.
אמרו עליו שיהיה שחקן גדול. אמרו עליו

---

[١٢٤]שם. עמ'76.

[١٢٥]حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي(الفضاء- الزمن- الشخصية)،المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩٠. ص٢٧٢.

שעוד יגיע לאירופה.

טבול את כף ידך בדם ומרח בו את פניך

[**אליאב עושה כדבריו ביד רועדת**]"[١٢٦].

" انظر إلى اليمين القتيل هناك بدون وجه. هذا ناجي عبايات.

اغمس كف يدك في دمه.

[إليئاف يتشنج]

خليل هربنا معا من المدرسة للعب كرة القدم.

قالوا عنه أنه سيصبح لاعبًا كبيراً. قالوا عنه

أيضا أنه سيصل إلى أوروبا.

أغمس كف يدك في الدم وادهن به وجهك.

[**يفعل إليئاف كما يقول له بيد مرتعشة**]".

يشير ما سبق إلى إن هذه المواقف التي تقدمها شخصيات المناضلة، تؤكد أنهم ليسوا مجرد أفراد تقاوم العدو، وإنما هي شخصيات تتعاون وتتحاب، فقد وحدت النكبة الفلسطينيين أمام قضية الوطن، وجعلت منهم أناساً مشردين خارج وطنهم وغرباء داخله.

الرابع عشر: تصوير الفلسطينى بالخائن

نجد في المسرحية نموذج البطل السلبي في صورة العميل الخائن لوطنه، الانتهازي، وهم القلة من الفلسطينيين الذين تعاونوا مع قوات الاحتلال الإسرائيلي، ويتسع مفهوم العمالة، ليشمل الوطن الذي يبيعه أحد مواطنيه لأعدائه، من خلال المشاركة في تصفية واعتقال المقاومين، يمثل هؤلاء المتعاونين في المسرحية أحمد تاجر الحجارة، المستعد دائماً للقيام بأي شيء مقابل الحصول على المال. فقد بادر أحمد بالذهاب إلى مقر الحاكم العسكري ليدلى بمعلومات عن مكان إختباء خليل وزملائه المقاومين وأصبح أحمد متعاونا مع الاحتلال وذلك نتيجة رغبته في الحصول على المال وتسهيلات لعبور الحواجز العسكرية، وهو ما أكده الحوار الذي دار بين أحمد والحاكم العسكري بقوله:

" אחמד אל תעליב אותי, כבוד המושל.

[١٢٦]גרינברג، תמיר. שם. עמ'78.

בשם הצדק באתי, לא בשם הכסף.
מובן שיש לחשוב גם על צרכים של פרנסה,
אבל בעניינים של עיקרון
חשוב יותר החוש המוסרי,
אלפיים שבע מאות שישים וארבעה שקלים יספיקו,
ובנוסף. אישור קטן למעבר חופשי במחסומים"[١٢٧].

" أحمد لا تهيني، ياسيادة الحاكم.

جئت من أجل العدل، وليس من أجل المال.

بالطبع يجب التفكير أيضاً في احتياجات المعيشة،

لكن فيما يتعلق بالمبدأ

فإن الأهم هو المعنى الأخلاقي

ألفان وسبعمائة وأربعة وستون شيكل ستكفى.

بالإضافة إلى تصريح للمرور الحر عند نقاط التفتيش".

يُعد العميل الذي يعمل ضد بلاده، بدافع الحقد الشخصي لسبب ما، أو موقف تعرض له خلال حياته، من أخطر أنواع العملاء. وغالباً ما يكون هو المبادر بطلب التعامل مع أجهزة المخابرات الإسرائيلية، لينتقم ممن ظلمه. لذلك فقد بادر أحمد بإبلاغ عن مكان إختباء خليل إنتقاماً من والده الذي طرده عندما طلب منه المساعدة. وهو ما عبر عنه الحوار الذي دار بين الضابط رونين وأحمد عندما سأله رونين لماذا يخون أبناء شعبه بقوله:

"עם? אני בן חמישים ושש

ובחיי אף פעם לא ראיתי עם.

רק בני אדם אני רואה, וכל אחד בעניינו.

הצעתי לראש העיר את עזרתי

והוא סילק אותי בבוז.

כבוד ראש העיר לא חלק מהעם?

איפה היה העם כשגססה אשתי במחלת סרטן?

ולמה לא הפגין אחדות ואחווה

[١٢٧] שם. עמ'65-٦٦.

כשפשטתי רגל? צר לי, כבוד המושל.

אני אדם פשוט מכדי לתפוש מושג נשגב כמו 'עם'"(١٢٨).

"شعب؟ أنا ابن السادسة والخمسين

وفي حياتي لم أر أبداً شعب.

أرى فقط أناساً، كل واحد في شأنه،

طلبت من رئيس البلدية مساعدتي

طردني بإزدراء.

لم يكن سيادة رئيس البلدية جزءًا من الشعب؟

أين كان الشعب عندما كانت زوجتي تحتضر بسبب مرض السرطان؟

ولماذا لم يتظاهر الوحدة والإخاء

عندما أفلست؟ أنا آسف ياسيادة الحاكم.

أنا إنسان بسيط لفهم مفهوم سامي مثل "شعب".

توضح الفقرة السابقة أن أحمد قرر خيانة وطنه، وفعل ذلك عن طيب خاطر واقتناع تام دون أي إكراه، فقد تعرض لعوامل ضاغطة على المستويات النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، جعلته عرضةً للسقوط والارتباط بالأجهزة الإسرائيلية، واستطاع باتصاله مع المحتل أن يوجه ضربة شديدة إلى المقاومين الذين اختفوا وابتعدوا عن أعين الشعب، فقد أرشد الحاكم العسكري إلى مكان اختفاء خليل ورفاقه المقاومين في أحد المنازل الفلسطينية.

الخاتمة

قد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمال أهمها فيما يأتي:

(١٢٨) שם. עמ'66

- أوضحت الدراسة أن محاولة إبادة الشعب الفلسطيني هي محاولة لإبادة الكون بأكمله. إن الإنسان خلق لينعم بما سخرته له الطبيعة، بعيداً عن الصهيونية المغتصبة.
- أثبتت الدراسة أن الاحتلال الإسرائيلي مارس ضروباً من الانتهاكات والإجراءات التهويدية والتحديات المختلفة للوجود الفلسطيني في مدينة الخليل من أجل طمس معالمها العربية والإسلامية. وصبغها بطابع يهودي غريب عنها.
- أكدت الدراسة أن أهم ما يميز حالة الاستعمار الصهيوني في فلسطين هي محاولة الربط الدائمة بين الماضى التوراتي، والحاضر الاستعماري. وقد أدى هذا الربط بين الماضي والحاضر دوراً كبيراً في خلق أساطير يهودية حول الوجود اليهودي وشرعية وجوده على الأرض باعتباره الشعب صاحب الأرض. فقد سعت الحركة الصهيونية إلى توحد يهود العالم حول هدف واحد هو استعمار أرض فلسطين، وبذلك تحافظ الصهيونية على مشروعها باعتباره جاء في خدمة الدين، وليس تنفيذاً لأفكار استعمارية بحتة.
- أوضحت الدراسة أن هدم المنازل هو إجراء إداري يطبق دون محاكمة ودون الحاجة إلى أدلة وذلك استنادًا إلى المادة ١١٩ من أنظمة الطوارئ. فقد لجأت سلطات الاحتلال إلى سياسة هدم منازل منفذي العمليات وتشريد أهلهم وذويهم، لردع الفلسطينيين الآخرين عن تنفيذ عمليات خوفاً على عائلاتهم من الأذية.
- أكدت الدراسة أن سلطات الاحتلال تمارس سياسة هدم المنازل بحق الفلسطينيين، فيما تغمض أعينها عن جرائم الصهاينة المغتصبين، وهو ما يضاعف من معاناة الفلسطينيين.
- أثبتت الدراسة فشل سياسة هدم المنازل كوسيلة ردع وأن أضرارها أكثر من منافعها، بسبب الكراهية التي تولدها هذه السياسة. وأن هذا الضغط والتضييق لم يضعف الإنسان الفلسطيني، وإنما زاده إصراراً على التمسك بأرضه وحقه في الحياة، واستطاع أن يصمد ويقاوم، ولم تنل هذه الإجراءات وهذا التعسف من عزيمته شيئاً.
- أثبتت الدراسة أن المواجهة مع المحتل الإسرائيلي تحتاج إلى ابتكار وسائل مقاومة، وتوظيف الظروف المتاحة، لذلك فقد اتخذ كل سكان الخليل قرارًا جماعياً بعدم دفن

قتلاهم وهذا هو السلاح المتاح أمام الفلسطينيين ، وقد وضعه الكاتب حلا لمشكلة نقص السلاح أو غيابه عند الفلسطينيين.

- أكدت الدراسة معاناة الطفل الفلسطيني من بؤس وتشرد.كانت شخصية الطفل المستأجر هي رمز للمآسي التي يعيشها الأطفال تحت الاحتلال الإسرائيلي، وأن الفقر والحاجة لتأمين لقمة العيش هو السبب الرئيس لعمالة الأطفال.
- أوضحت الدراسة أن الحواجز العسكرية وسيلة للإذلال والقهر والقمع والتعذيب لمختلف فئات الشعب الفلسطيني على حد سواء.
- أوضحت الدراسة أن سياسة التضييق التي تمارسها قوات الاحتلال ضد الفلسطينيين تؤدى إلى تحويل الشخصية القانعة المستسلمة إلى شخصية مقاومة. فالمرأة الفلسطينية قاتلت وناضلت للحفاظ على استقرار وأمن الأسرة الفلسطينية، ودفعت حياتها ثمن ذلك.
- أكدت الدراسة أن الشخصية المناضلة تعيش حالة من الانسجام مع نظيرتها، فهي شخصيات تتعاون وتتحاب، أقرب إلى المثالية في سلوكها وعلاقاتها، فنهلهما من نبع ثقافي مشترك قرب المسافات بينهما، فقد وحدت النكبة الفلسطينيين أمام قضية الوطن.
- أوضحت الدراسة ان المرأة الفلسطينية لم تر المقاومة إرهاباً، بل حق شرعي للفلسطيني في أرضه. فالمرأة الفلسطينية قاتلت وناضلت دفاعاً عن أسرتها وبيتها.
- أوضحت الدراسة أن الأديب اتخذ من أشجار الزيتون رمزا لأرض فلسطين، مستفيداً مما تمنحه رمزية شجرة الزيتون من إيحاءات تتمثل في الصمود والمقاومة والثبات، ومظهراً قيمة الوطن والأرض ومكانتهما في نفس الفلسطينيين، فجذورهما مغروسة معاً في الأرض. ويهدف المحتل إلى إقتلاعهما معاً من الأرض.
- أوضحت الدراسة أن دفاع الفلسطيني عن أشجار الزيتون أمام الجرافات الإسرائيلية هو دفاع عن الأرض والهوية والوطن.
- أكدت الدراسة أن جنود الاحتلال الإسرائيلي يطبقون الإجراءات العنصرية في عرقله حركة المواطنين والاعتداء عليهم بشكل يومي، يتحكمون في فتح هذه الحواجز وإغلاقها

تبعا لمزاجهم وحالتهم النفسية. فالقوانين تتعارض مع بعضها البعض ولا تسمح لأي شخص بالعبور، على الرغم من أن معظم الفلسطينيين لم يشكلوا تهديدًا.

قائمة المصادروالمراجع

أولاً: المراجع العربية

الكتاب المقدس

١. الكتب

- إدوارد سعيد. الثقافة والمقاومة. حاوره ديفيد بارساميان، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، دار الآداب، بيروت ،٢٠٠٦م.
- إسرائيل شاحاك. الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة حسن خضر، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.
- حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩٠ م.
- رشاد الشامي. الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، الكويت،١٩٨٦ م.
- ـــــ. القوي الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة .عالم المعرفة، عدد١٨٦، الكويت،١٩٩٤م.
- سعيد عبد السلام العكش. مفاهيم عنصرية في الأدب العبري الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٨م.
- صبري جريس. العرب في إسرائيل،منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، بيروت،١٩٦٧م.
- عامر راشد. فلسطين مائة عام بحثاً عن الحرية والعدالة: ونشوء القضية الفلسطينية وتطورها، ابن رشد، القاهرة، ٢٠١٧م.
- عرفات حجازى. مدينة خليل الرحمن والتحدي الصهيوني، دار الصباح،الاردن، ١٩٨٥م.
- على الراعي. فن المسرحية. سلسلة كتب للجميع، العدد ١٤٩، القاهرة،١٩٥٩م.
- عمرو عبد العلي علام. المجتمع الإسرائيلي وثقافة الصراع. دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٧م.
- محمد خليفة حسن. الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي. العدد٤، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- محمد عبد الرحمن. قصة مدينة الخليل. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، العدد١٩،بدون تاريخ.
- مصطفى الضبع. استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م.
- مصطفى اللداوي. الإرهاب الصهيوني- عقيدة ومجتمع وتاريخ دولة،دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٧م.

- ناهض زقوت. انعكاس الإرهاب الصهيوني على الرواية الفلسطينية، إتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة، ٢٠٠١م.
- نصير حسن عاروري. أمريكا الخصم والحكم، دراسة توثيقية في عملية السلام ومناورات واشنطن منذ عام ١٩٦٧، ترجمة منير العكش، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠٧م.

٢. المقالات

- أحمد صبحى منصور. إلى متى تستمر إسرائيل في إذلال الفلسطينيين عن الحواجز الأمنية. الحوار المتمدن، العدد٥٧١٠، ٢٠١٧/١١/٢٦.
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=580535&r=0
- أمين دراوشة. مسرحية الخليل لتامير غرينبرغ: الضحية والجلاد على قدم المساواة، قضايا إسرائيلية، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله،العدد٥٠، ٢٠١٣م.
- حسنى عوض. الآثار النفسية والاجتماعية الناتجة عن الحواجز الاحتلالية الإسرائيلية لدي عينة من طلبة جامعة القدس المفتوحة المارين عبرها يومياً. جامعة القدس المفتوحة، فلسطين،٢٠١٠م.
http://www.qou.edu/home/sciResearch/researchersPages/hussniAwad/barriersOccupation.pdf
- طلعت خيري. الإلة يهوه وبداية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطسن، الحوار المتمدن، العدد ٦٠٢٢، ٢٠١٨/١٠/١٣.
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=614620&r=0
- غازى فلاح. "أسرلة" الجغرافيا العربية لفلسطين، مجلة شؤون فلسطينية، عدد٢٠٩، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، قبرص ، ١٩٩٠م.
- نجلاء رأفت سالم. الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الفلسطينيين. ترجمة لبعض تقارير بيتسليم، مجلة هرمس، جامعة القاهرة، المجلد الثاني، العدد ١، يناير ٢٠١٣م.
- يوسف تيسير جبارين. أنظمة الطوارئ. الفلسطينيون في إسرائيل: قراءات في التاريخ، والسياسة، والمجتمع،مدى الكرمل – المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية،٢٠١١م.

٣. الموسوعات

- محمد اشتية. موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية. دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ٢٠١١م .

ثانياً: المصادر والمراجع باللغة العبرية

א. המקורות

- גרינברג, תמיר. חברון. הוצאת הקיבוץ המאוחד, תל-אביב, ٢٠٠٧.

ב. הספרים

- אורן, יוסף. מגמות בספרות הישראלית, הוצאת יחד, ישראל,1990.
- בן עזר, אהוד. במולדת הגעגועים המנוגדים, הערבי בספרות העברית, מבחר סיפורים ומבוא, הוצאת זמורה ביתן ,ישראל, 1992.

- רוזיק, אלי.יסודות ניתוח המחזה, הוצאת אור העם, תל-אביב,1992.
- שיף, זאב. יערי, אהוד.האינתפאדה, הוצאת שוקן, תל-אביב, ,1990.

ג. המאמרים

- בוימל, יאיר. הממשל הצבאי ותהליך ביטולו, 1958-1968,כתב עת המזרח החדש, גליון 43,2004.
https://in.bgu.ac.il/bgi/iyunim/16/yairb.pdf
- בנדר, אריק. להוריד מיד את ההצגה חברון",ח"כ סלומיאנסקי מאיים כי התקציב עבור "הבימה" ו"הקאמרי" ייפגע, אם לא יפסיקו להציג את המחזה. מעריב. ٢٠٠٧/١١/٤.
- דץ, איל. האם עודד קוטלר, שמסרב להופיע באריאל, יעלה הצגה בגוש עציון?. וואלה.2010/5/9.
https://e.walla.co.il/item/1729916
- המאירי، ישראל. השורשים המיתולוגיים של המאבק על חברון. הארץ. ٢٠٠٧/٩/١١.
- יודילוביץ', מרב. הבימה והקאמרי ישתפו פעולה בעונה הבאה, התיאטרונים יעלו במשותף את "אנטיגונה" מאת סופוקלס בבימויו של חנן שניר ואת "חברון" מאת תמיר גרינברג ובבימויו של עודד קוטלר.ידיעות אחרונות, 2006/1/4.
- צורף، יהודה. מחזה פוליטי בתיאטרון הלאומי , כיצד זה מחזות פוליטיים מזוהים עם סדר היום השמאלני, ערוץ7, 2007/6/29.
https://www.inn.co.il/Articles/Article.aspx/6768
- קורות חייו של תמירגרינברג. לקסיקון הספרות העברית החדשה.
https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00959.php
- ראובני, יותם. "הרואין, הישארות הנפש": פרידה מכירת לב מאהוב שהתמכר לסמים. הארץ, 12-2-2018 .
- שוחט، ציפי. המחזה "חברון" של תמיר גרינברג יועלה בהמבורג. הארץ. ٢٠٠٦/١/١٨.
- ————. ההצגה שתצית אש، ילדים נרצחים ,האדמה אינה מוכנה לקלוט את המתים ,עיר עולה בלהבות .המחזה "חברון" שעולה השבוע לא יעבור בשקט. הארץ. 21/6/2007.
- שילוח، שרון. עיר האיבות، יש חשיבות לחומר אתו מתמודדת ההצגה "חברון", אך הטיפול בו ריק מתוכן .חדשות13. ٢٠٠٧/٧/١١.
https://13news.co.il/10news/bidur/79357
- שיף, עינב. הוכרזו הזוכים בפרסי היצירה לסופרים עבריים.וואלה,24-12-2009.
https://e.walla.co.il/item/1625081

- שרייבר, תמרה. חברון, משחק הדמעות, האם מדובר בשעוריה הבאה בתיאטרון? ההצגה החדשה "חברון" מציגה את הכובש הישראלי בצורה בוטה, שכמוה לא נראתה כבר שנים רבות על הבמה. גלובס, 2007/6/24.
https://www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1000224456

ثالثاً: أولاً: المراجع العربية

1. The Books:

- Shaked,Gershon.Hebrew Writers, A General Directoty. The Institute for The translation of Hebrew Literture.Israel. April1993.

2. The Articles:

- Kazi, Hamida, "Palestinian women and the national liberation movement: a social perspective", libcom.org.13/11/2013. https://libcom.org/library/palestinian-women-national-liberation-movement-social-perspective-hamida-kazi

رابعاً: مواقع على الشبكة الدولية للمعلومات

- بتسيلم. مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة. هدم البيوت كوسيلة عقاب. ٢٠١٧/١١/١١.
https://www.btselem.org/hebrew/punitive_demolitions